الواقع السياسي والاجتماعي لدولة يهود الخزر وعلاقتهم بالخلافة الإسلامية (٢٢ ــ ٣٥٤هـ / ٦٤٢ ــ ٩٦٥م)	د/ أحمد توني عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد كلية دار العلوم ــ جامعة المنيا

مقدمة

تـرجع فكـرة البحـث إلى نقطتين رئيسيتين ، تكمن الأولى منهما فـي عـدة تسـاؤلات محوريـة مهمـة ، تكـاد تنطق بها شفاه كل مسلم وعربـي ، بـل كـل إنسـان باحث عن الحقيقة والعدل ، وهي : هل يهود الـيوم هـم أحفـاد يهـود الأمـس ؟ أم أنهم أحفاد يهود الخزر الإشكيناز *Ashkenazim* ؟ وهـل جـاءوا مـن أرض كـنعان. أم مـن مدينة "إتيل" وسـواحل بحـر قزويـن ؟ وهـل يهود اليوم ذوو نقاء جنسي حقاً انطلاقاً مـن الجيـتو *Ghetto* ؟ أم أنهـم نتاج الشتات *Diaspora* والاختلاط الذي لـم يكـن وقفـاً على أجيالهم المتعاقبة في العصر الحديث ؟ وإنما عايشهم مـنذ ظهورهـم عـن طـريق الـزواج والمصـاهرة مـع مـن جاورهم وعاصـرهم مـن الشـعوب الأخـرى ؛ كمـا قالت التوراة. وهل فلسطين تمـثل لـيهود الـيوم أرض غـربة أم أرض مـيعاد ؟ إنها بلا أدنى شك أرض غـربة ؛ لـيس لـيهود الـيوم فقط بل لأنبيائهم وحتى سيدنا إبراهيم عليه السلام بنص التوراة كان غريباً على فلسطين.

وسوف تجيب الدراسة على هذه التساؤلات القريبة منها والبعيدة .

أمـا الـنقطة الثانـية فهـي ارتباط يهود الخزر بالواقع الإسلامي والعربـي ؛ كقاسـم مشـترك عبر التاريخ ، ففي عصر الخلافة الإسلامية (الراشـدة ، والأمويـة ، والعباسـية) وقـف الخزر حجر عثرة في طريق انطـلاق المسـلمين إلـى شـرق أوربـا ؛ لاستكمال الدائرة التي كانت قد بـدأت مـن الغـرب فـي بلاد الأندلس ؛ مما يشير إلى وجود ثمة علاقات

بين يهود الخزر ويهود الأندلس ، وقد اتضح ذلك من خلال رسائل الخزر بين ملكهم يوسف وحسداي بن شبروط .

ولا شك أن الباحث في تاريخ الخزر يجد نوعاً من الصعوبة ، ليس لندرة المصادر فحسب ، وإنما لتعدد اللغات التي كتبت بها سواء في الجانب الفارسي أو الروسي ، أو البيزنطي ، والتي يمكن من خلالها التقاط المعلومات من بين السطور ، لكن هناك من تجشم عناء الإبحار في تاريخ الخزر ، مثل "دنلوب" في كتابه "تاريخ يهود الخزر" ، الذي اعتمد فيه كثيراً على الحوليات الروسية والبيزنطية ، وتاريخ الفرس ، أكثر من اعتماده على المصادر الإسلامية ، وهناك "كيستلر" في كتابه "القبيلة الثالثة عشرة " ، الذي بذل فيه جهداً كبيراً ، يبدو من خلال اعتماده على الدراسة الأنثروبولوجية *Anthropology* لليهود ؛ من حيث مقارنة الأعضاء ، وتحليل فصيلة الدم ؛ لدحض فكرة نقاء الجنس ، وإن كان العنوان يجعل من الخزر ابناً غير شرعي "ليعقوب" عليه السلام حيث عدهم القبيلة الثالثة عشرة بعد الأسباط الاثني عشر. وأيضاً الدكتور "جمال حمدان" في كتابه "اليهود أنثروبولوجياً" ، عالج فيه دراسة اليهود من حيث الخصائص الجسدية ؛ لمعرفة درجة التقارب أو التباعد وارتباطه بالبيئة والمستوى الاقتصادي كما قال ربلي *Ripley* ، وأيضاً الدكتورة "زبيدة محمد عطا" في كتابها "اليهود في العالم العربي" التي بذلت فيه جُهداً كبيراً في جمع الوثائق المتعددة عن تاريخ اليهود ، والتي استفدت منها كثيراً ، وأخيراً وليس بآخر الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية".

وقد قسمت هذا البحث إلى **ثلاثة محاور : الأول** : بعنوان "الواقع السياسي لدولة يهود الخزر" ، حاولت الدراسة فيه التعرف

علـى موقـع بـلاد الخـزر ، وأهميته من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، والـبلدان التـي شـملها هـذا الموقـع ؛ منذ قدومهم من أواسط آسيا في القـرن الأول المـيلادي ، ومحاولـة اسـتقرارهم علـى مقـربة من بحر قزويـن ، ومـدى اتسـاع هـذا الموقـع رويـداً .. رويداً. حتى أصبحت دولـة الخـزر فـي القرن الثاني الميلادي لها وزنها السياسي ، وتمتد من بحـر قزويـن شـرقاً إلـى الأسـود غـرباً ، ومـن آذربيجان وأرمينية وجورجـيا جـنوباً إلـى روسـيا شـمالاً ، كما أشارت الدراسة إلى تغير عاصـمة الخـزر حسـب مقتضـيات الظـروف السياسـية الخارجـية والداخلـية ، فكانـت بلانجـر ، ثـم أصـبحت سـمندر ، وأخيراً "إتيل" ، وفـي العصـر الحديـث "استراخان". كمـا أشـارت الدراسة إلى ظهور الخـزر علـى مسـرح الـتاريخ مـن خـلال علاقاتهم بالهون والأتراك الغربييـن ، والعلاقـات الدولـية بيـن الفـرس والـيونان تارة ثم الفرس والـرومان ، وكذلـك الفـرس والبيزنطيين. كما أوضحت الدراسة اعتناق الخـزر للـيهودية كديـن رسـمي ؛ حيـث اعتنقها الملك وحاشيته وقواده ووجهـاء قومـه ، وكـان الاعتـناق سياسـياً لا دينـياً حـتى لا يـنحازوا إلـى الشـرق الإسلامي ، ولا إلى الغرب البيزنطي المسيحي ، بـل حـالوا أن تكـون لهـم شخصـية سياسية مستقلة من خلال تسييس الدين.

وأمـا المحـور الثانـي : فأوضـح الواقـع الاجتماعي لدولة يهود الخـزر ، فألقـت الدراسـة الضـوء علـى أصل يهود الخزر ، وأنهم من أبـناء "يافـث بـن نوح" عليه السلام ، وليسوا من أبناء سام ؛ لخلع عباءة السـامية التـي يتشـح بهـا الـيهود الذين يرجعون في أصلهم إلى اشكناز الخـزر ، ولقـد عـبر "مـناحم بيجن" عن مدى ضيقهم من معرفة الحقيقة بعـد أن قـرأ كـتاب كيسـنلر حيـن قال " فليقولوا إنا خزر أو أي شيء

آخـر نحـن هـنا موجـودون بقوتنا". ثم تعرضت الدراسة لاشتقاقات اسم الخـزر سـواء مـن ناحـية الاصـطلاح أو اللغة ، ومدى التباين الكبير الذي يستفاد منه أنه تعبير عن التبدي والتنقل والترحال.

كذلـك أوضـحت الدراسـة الجانـب الأنثروبولوجـي لليهود منذ بدايـتهم ؛ مـروراً بالجيـتو ، ثـم الشـتات ، حتى يهود الخزر ، وأثبتت الدراسـة عـدم نقـاء الجـنس الـيهودي مـن خلال الصفات الجسدية ، وفصـائل الـدم فهـو جـنس مهجن منذ البداية ، كذلك أوضحت الدراسة أن فلسـطين كانـت ومازالـت أرض غـربة بالنسـبة لليهود منذ عهدهم الأول ، وحـتى يهـود الـيوم ، كمـا أشارت الدراسة لرسوم يهود الخزر من حيث ثنائية حكمهم ، وقيادة جيوشهم ، ودفن موتاهم وغير ذلك .

أمـا المحـور الثالـث : فأوضـح العلاقـات المتعددة بين الخلافة الإسـلامية ويهـود الخـزر ؛ فـي العصر الراشدي ، الذي اتسم بالزحف الإسـلامي إلـى مـنطقة الدربـند ، والمـناطق الحدوديـة ، فهو اتصال سياسـي ، وفـي العصـر الأمـوي ؛ حيـث تطـورت العلاقات ، فدخل المسـلمون أرض الخـزر ، واسـتولوا على بلانجر أولى عواصمهم ، ثم فرضـوا الجـزية علـيهم ، فكـان الصراع في أغلبه سياسي. بينما شهدت العلاقـات فـي العصـر العباسي جانباً اجتماعياً تمثل في الزواج ، وجانباً ثقافـياً تمـثل فـي رحلـة سلام الترجمان إلى يأجوج ومأجوج. ثم أشارت الدراسـة لانهـيار دولـة يهـود الخـزر عـام ٣٥٤هـ/٩٦٥م تمهيداً لسقوطها على أيدي المغول في القرن الثالث عشر الميلادي.

وأخيراً : عرضت الدراسة لبعض النتائج.

ولقـد اتبعـت المـنهج التحليلـي للنصوص ، واستنباط المعلومات مـن بيـن السـطور ، ومقارنـتها للوقوف على بواطن الخطأ ، واعتمدت

هذه الدراسة على العديد من المصادر الإسلامية الأصلية : (كابن رستة ، والإصطخري ، وابن فضلان ، واليعقوبي ، والبلاذري، وابن خرداذبة ، وابن حوقل ، والطبري ، وابن الأثير ، والمقدسي ، والكرديزي) .

وكذلك : (دنلوب ، وكيستلر ، ودائرة المعارف اليهودية ، وأبا إيبان ، والعديد من مواقع المعلومات على شبكة الإنترنت .

وبعد فهذه محاولة لإضافة كلمة أو سطر في تاريخ الخزر وعلاقتهم بالمسلمين ، فإن وُفقت فمن عند الله ، وإن أخفقت فمن نفسي.

المحور الأول

الواقع السياسي لدولة يهود الخزر

أولاً : الموقع الجغرافي وأهميته .

ثانياً : ظهور الخزر على مسرح التاريخ .

ثالثاً : عقيدة الخزر .

المحور الأول

الواقع السياسي لدولة يهود الخزر

يتضمن الحديث هنا عن الواقع السياسي لدولة يهود الخزر إلقاء الضوء على الموقع الجغرافي وأهميته ، وظهور الخزر على مسرح التاريخ ، وعقيدة الخزر. وإن كان من الواجب وضع العقيدة في الجانب الاجتماعي إلا أن "الخزر" قصدوا بها سياسة أكثر من كونها ديناً ، وعلى هذا الأساس جاء مكانها تحت الواقع السياسي .

أولاً : الموقع الجغرافي وأهميته :

يقول كيستلر *Koestler* : " شغلت بلاد الخزر وهم شعب من أصل تركي ـ موقعاً استراتيجياً رئيسياً في المدخل الحيوي بين البحر الأسود وبحر قزوين[1] حيث وقفت القوات الشرقية العظمى في ذلك العصر وجهاً لوجه ، وكانت بلاد الخزر ، بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشداء أهل السهوب الشمالية ، من بلغار ومجريين وبتشنج .... الخ ـ ثم الفيكنج والروس فيما بعد . إلا أنه بالمثل وبقدر أهم سواء من الناحية الدبلوماسية البيزنطية ، أو التاريخ الأوربي ، كانت هناك الحقيقة بأن جيوش الخزر وقفت سداً منيعاً ضد زحف جحافل[2] العرب في أطواره الأولى الساحقة[*]. وبالتالي حالت دون استيلاء المسلمين على أوربا الشرقية ".[2]

وبهذه الكلمات البسيطة أوضح " كيستلر " أهمية وحيوية موقع بلاد الخزر بين بحري قزوين والأسود ، فمن الناحية الجغرافية

---

[*] جحافل ـ الساحقة : تقتضي الأمانة العلمية نقل النص كما هو ، وإن كانت روح التعصب واضحة في الكلمتين المذكورتين .

وفر هذا الموقع الحماية للدولة البيزنطية ضد غارات البرابرة ، والفيكنج ، والروس ، كما حمى أوربا الشرقية من الغزوات الإسلامية المتتالية ، ومن الناحية الحيوية وإن لم يوضحها " كيستلر " فقد كان هذا الموقع بمثابة المعبر بين الشرق والغرب سواء للجنس البشري ، أو المظاهر الاجتماعية ، أو للتبادل التجاري ، أو لعبور الثقافات .

"ولأن البنية قد تكون في بعض الأحيان خرساء ، ولكنها تنطق من خلال الإنسان ، وربما تكون الجغرافيا صماء لكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها . ولقد قيل بحق إن التاريخ ظل الإنسان على الأرض ، بمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان . بينما يضيف قول آخر إن معظم التاريخ إن لم يكن جغرافية متحركة *Moving Geography* فإن بعضه على الأقل جغرافية متنكرة *In Disguise* (٣) .

انطلاقا من هذه العبارة التي نطق بها الدكتور جمال حمدان فإننا سنعرض لآراء الجغرافيين المسلمين عن موقع بلاد الخزر وأهميته. يأتي ابن خرداذبه ت ٣٠٠هـ/٩١٢م تقريبا ذلك الجغرافي الكبير إذ يقول تحت عنوان الطريق بين جرجان وخمليج (٤) مدينة الخزر : من جرجان إلى خمليج وهي على شفير النهر الذي يجيء من بلاد الصقالبة ، ويصب في بحر جرجان ، في البحر إذا طابت الريح ثمانية أيام ، ومدن الخزر : خمليج ، وبلنجر (٥) ، والبيضاء ، ويؤيد كلامه بيت من الشعر للبحتري ، إذ يقول :

شرف تزيد بالعراق إلى الذي
عهدوه في خمليج أو ببلنجرا (٦)

وهكذا أعمل (ابن خرداذبه) عقله فاعتمد على ملاحظته الدقيقة لمدى تأثير الرياح على المناخ عند تحديد الميقات بين بعض بلدان الخزر، كما اعتمد على الشعر كمصدر من مصادر معلوماته فيما رواه عن البحتري عند ذكره خليج وبلنجر.

وعلى صعيد آخر نجد "ابن خرداذبه"[٨] يورد بعض كور وبلاد الخزر مثل: الرّان[٩]، وجرزان[١٠]، والبيلسجان[١١]. إلخ.

يعد ابن خرداذبه من أقدم الجغرافيين المسلمين الذين أشاروا إلى تلك البلاد، وفي هذا السياق لا يفوتنا أن يقول: إن النهر الذي أورده "ابن خرداذبه" هو نهر إيل[١٢] أو أيدل (الفولجا)، والبحر هو بحر قزوين.

ويأتي "ابن رسته"[١٣] بعد عام ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ليلقي قبساً من الضوء على بلاد الخزر فيقول: بلاد الخزر بلاد عريضة، يتصل بإحدى جنباتها جبل عظيم، وهو الجبل الذي نزل في أقصاه طولاس ولوغر، ويمتد هذا الجبل إلى بلاد تفليس.

وعلى هذا الأساس تكون بلاد الخزر قد امتدت إلى تفليس ببلاد الكرج[١٥] سابقاً، (جورجيا) حالياً. والجبل العظيم المقصود هو جبال القوقاز.[١٦]

كما يذكر "ابن رسته"[١٧] من مدن الخزر سارعشن[١٨]، وهب نلع[١٩] أو حبنلع.

تبدو المشاكلة بين ما ذكره الكردبزي (٤٤٢ـ ٤٤٣م) وما ذكره "ابن رسته" قبل الكردبزي: "وولاية الخزر واسعة الأرجاء على جانبها جبل عظيم، ويمتد من هذا الجبل حتى تفليس"[٢٠].

ويذكـر الكرديـزي فـي موضـع آخر أن " لهم مدينتان عظيمتان إحداهما سارعشن ، والأخرى اختلغ".[٢١]

وبالتالـي يـتأكد مـدى وجـه المقاربـة بتصحيف طفيف بين ما أورده كل من ابن رستة والكرديزي .

ويذكـر " ابـن فضـلان "[٢٢] رسول الخليفة المقتدر بالله العباسي (٢٩٥ـ٣٢٠هـ/٩٠٨ـ٩٣٢م) إلـى بـلاد الصـقالبة عـام ٣٠٩هـ/٩٢١م نـذراً يسـيراً عـن بلاد الخزر مع أنه كان على مقربة منها إذ وصل إلى مدينـة "إتـل" علـى مصـب نهـر الفلجا ، فيقول : " ولملك الخزر مدينة عظـيمة علـى نهـر "إتل" وهي جانبان في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر : الملك وأصحابه " .

وبذلـك تعـد معلومـات "ابن فضلان" عن الخزر معلومات يسيرة جداً مع أنه أسهب من قبل عند ذكره الصقالبة والروس وغيرهم .

ولا نـدري مـا سـبب ذلـك ، هل هو عدم وصول "ابن فضلان" إلـى تلـك الـبلاد ، أو أن هناك سبباً آخر ، مما حدى بكراتشكوفسكي أن يتجاهل أية إشارة إلى بلاد الخزر عند حديثه عن ابن فضلان[٢٣] .

بـيد أن " الاصـطخري "[٢٤] يـتحدث عـن الخـزر بشـيء من التفصـيل فيقول : " وأمـا الخـزر فإنه اسم الإقليم وقصبته تسمى "إتل" ، وإتـل اسـم الـنهر الـذي يجري إليه من الروس وبلغار . وإتل قطعتان : قطعـة علـى غربـي هـذا الـنهر المسمى إتل . وهي أكبرهما ، وقطعة علـى شـرقيه ، والملـك يسـكن فـي الغربي منهما ، ويسمى الملك باسم "بـك"[٢٥] ويسـمى أيضـاً "بـاك" ، وهـذه القطعة مقدارها في الطول نحو فرسـخ ، ويحـيط بهـا سـور ، إلا أنه مفترش البناء ، وأبنيته خركاهات لبود ، إلا شيئاً يسيراً بني من طين وليس أسواق وحمامات ".

وهكذا أورد الإصطخري بعض التفاصيل عن بلاد الخزر كمدينة "إتل" قصبة بلادهم ، ومساحة القسم الغربي منها الذي قدر بنحو فرسخ والسور الذي كان يحيطها ، كما أشار إلى نهر إتل ، ولتلك الشعوب المجاورة للخزر ، فضلاً عن ذكره أبنيتهم من خيام غطيت بلبود ومبان من طين .

مما يوضح أن هناك جزءًا من السكان كان مستقراً ، والآخر كان يتخذ من التنقل والترحال وسيلة للمعيشة .

ويـنقل "ابن حوقل"[٢٦] نص الإصطخري تقريباً مخالفاً إياه فقط في تحديد اسم المدينة الغربية من إتل وهي "خزران" والشرقية إتل .

ويقول "المسعودي"[٢٧] ت ٣٤٦هـ عند حديثه عن مملكة جيدان : " ويبادي أهل الباب[٢٨] والأبواب مملكة يقال لها جيدان ، وهذه الأمة داخلة في جملة ملوك الخزر ، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر [٢٩]، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر ، وذلك أنها افتتحت في بدء الزمان افتتحها مسلمان بن ربيعة الباهلي .... فانتقل الملك عنها إلى مدينة "آمل" ، وبينها وبين الأولى سبعة أيام ، و"آمل" التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز ، وتصب في بحر مايطس وهذه المدينة جانبان ، وفي وسط هذا النهر جزيرة ، فيها دار الملك ، وقصر الملك يتوسط هذه الجزيرة ، وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن ، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية".

وهكـذا ألقـى "المسـعودي" ضـوءًا على تلك البلاد ، وعلى قربها مـن "بـاب الأبـواب" ، وعلـى أن الملـك كان يقيم بسمندر ثم انتقل إلى آمـل ، [ولعلهـا "إتـل"] ، بعـد افتتاحها على يد سليمان بن ربيعة ، كما يشـير "المسـعودي" إلـى نسـيج السـكان الـذي تكـون مـن المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية.

وبـنظرة أكـثر دقـة وتركـيز يقول "المقدسي"[٣٠] عند حديثه عن بـلاد الدَّيلـم : " وأمـا الخزر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة قشفه كربه ، كثـيرة الأغـنام ، والعسـل ، والـيهود بآخـرها سد يأجوج ومأجوج ، وعلـى تخومهـا بلـدان الـروم ، وبها نهران أكثر مدنهم عليها يقلبان في البحـيرة ، وعلـى تخومهـا مـن قـبل جرجان جبل (بنقشلة) ، وقصبتها إتـل ، ومـن مدنهـا بلغـار ، وسـمندر ، وسـوار ، وبغند ، وقيشوى ، وخمليج ، وبلنجر ، والبيضاء.

وهـي نظـرة أكثر دقـة وشمولاً وتركيزاً تضمنت مواقع مكانية ، وملامـح عمرانـية ، وبيئـية ، واجتماعـية ، كمـا أشار المقدسي إلى بعـض الحـيوانات وكذلـك مـواد الطعـام ، فضلاً عن ملاحظته للعقيدة اليهودية .

ويقـوم الإصـطخري[٣١] بمهمـة عـامل المساحة فيحدد المسافات بيـن بلـدان الخـزر وجـيرانهم فيقول : " من آبسكون[٣٢] إلى دهستان[٣٣] سـتة مـراحل ، ويقطـع هذا البحر إذا طابت الريح عرضاً من طبرستان إلـى بـاب الأبـواب فـي أسـبوع ، وأما من آبسكون إلى بلاد الخزر ، فإنـه زائـد علـى العرض لأنه مزوي ، ومن إتل إلى "سمندر" ثمانية أيام ، ومـن سـمندر إلـى بـاب الأبـواب ثلاثـة أيـام ، ومن "إتل" إلى أول حـد "بـرطاس"[٣٤] ، مسـيرة عشرين يوماً ، ومن أول برطاس إلى آخر

نحـو خمسـة عشـر يوماً ، ومن برطاس إلى بجناك نحو عشر مراحل ، ومـن إتـل إلـى بجـناك مسـيرة شهر ، ومن إتل إلى بلغار عن طريق المفـازة نحـو شـهر ، وفـي المـاء نحـو شـهرين في الصعود ، وفي الحـدور نحـو عشـرين يومـاً ، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مـراحل ، ومـن بلغـار إلـى كويابـه نحو عشرين مرحلة ، ومن بجناك إلـى بسـجرت الداخـل عشـرة أيـام ، ومـن بسجرت الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة ".

وهكـذا حـدد الإصـطخري بدقـة المسـافات بيـن بلدان الخزر وجـيرانهم ، كمـا ذكـر بعـض الشـعوب المجـاورة ، كالبجناك والروم (البيزنطـيون) والـبلغار ، فضـلاً عـن ملاحظته الدقيقة لحركة السفن في بحـر قزويـن سـواء ضـد الـريح أو معـه ، وجعل محور كلامه على مدينـة إتـل ممـا يؤكـد دورها المهم في كونها قصبة البلاد أو عاصمتها. وذكـر إلـى جانـبها آبسـكون ، وبـرطاس ، وكويابه ، وسمندر ، وباب الأبواب ، وغيرها.

وعـنه نقـل "ابـن حوقـل"[٣٥] مع اختلاف طفيف حين قال : ومن سـمندر إلـى بـاب الأبـواب أربعة أيام ، بينما ذكرها الاصطخري ثلاثة أيـام فـي الـنص السـابق ، كذلك قال ابن حوقل بشجرت[٣٦] بينما ذكرها الاصـطخري بسـجرت ، وضـبطها يـاقوت[٣٧] باشـغرد ، وكذلـك ابن فضلان.[٣٨]

ونخـتم تلـك المصـادر الإسـلامية بقـول يـاقوت[٣٩] عن بلاد الخـزر إنهـا "بـلاد الـترك خلـف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين".

تلـك إشـارة موجـزة عن موقع بلاد الخزر وأبرز مدنهم وبعض جـيرانهم ، وشـذرات مـن أخـبارهم أمدتـنا بها أهم المصادر الإسلامية التي ألقت الضوء على بعض تاريخهم.

لنعرج بعد على بعض المراجع الأجنبية التي ألمحت إليهم :

تذكـر "دائـرة المعـارف الـيهودية" أن : " مملكة الخزر تأسست بشـكل أساسـي فـي معظـم مـناطق جنوب روسيا قبل فترة طويلة من تأسـيس المملكـة الروسـية نفسـها ، وقد عاش اليهود على شواطئ البحر الأسـود ، وبحـر قزويـن مـنذ تلـك الفترة ، وهذا دليل على أن منطقة بحر "أرال" كانت وطناً ليهود الخزر".(٤٠)

وهكـذا أشـارت إلـى أن بلاد الخزر تقع في المنطقة الممتدة بين بحـري قزويـن والأسـود إضـافة إلـى مـنطقة بحـر أرال دلالة على اتساعها .

ويـرى ف. بـارتولد *W.Barthold* أن بـلاد الخـزر تشترك في حدودهـا الجنوبـية الغربـية مع داغستان ، ومع بلاد الخلافة الإسلامية ، وهـناك كانـت تحـدث المصـادمات العسـكرية ، التـي ألجأت خواقين الخـزر إلـى تـرك عاصـمتهم القديمـة بداغستان(*) ، وتأسيس عاصمة جديدة على مصب نهر آيدل (الفولجا). (٤١)

وهـنا يشـير "بـارتولد" إلـى أن الخزر ، أسسوا عاصمتهم على مصب نهر (الفولجا) أي على ساحل بحر قزوين.

(*) داغستان : الأرض الجبلية ، وهي إقليم روسي على الشاطئ الغربي لبحر الخزر بين خطي عرض ٤٣° ٣٠ ، ٤١ شمالاً ومساحتها ١٣٢٢٨ ميلاً مربعاً.

وعند حديثه عن (البلغار) يقول "بارتولد" لم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر "إتل" إلا بعد نضالهم الفاشل(*) مع العرب في بداية القرن الثالث للهجرة بعد عام ٧٢٠م ، ويشير إلى أن بلادهم كانت جزءاً من مملكة الترك البدوية العظيمة في السهوب الشرقية لأوربا بما في ذلك حوض نهر "إتل".(٤٢)

أي أنها كانت عاصمة للخزر قبل إتل في سهوب القوقاز وهي سمندر كما قال بذلك المسعودي في مروجه ، ومع موجات الفتح العربي تراجع الخزر إلى "إتل" عند مصب نهر الفلجا في بحر قزوين ، ويربط بارتولد في كلامه . وهو متخصص في تاريخ الترك بين الخزر وبين مملكة الترك البدوية في السهوب الشرقية لأوربا.

ويشير السير " ت. و. آرنولد " *Sir T. W. Arnold* إلى وصول يهود الخزر إلى بحر قزوين.(٤٣)

ويقرب أبا إيبان *Abba Eban* وزير خارجية إسرائيل الأسبق من وجهة نظره دائرة المعارف اليهودية ، فيذكر : أنه في القرن الخامس الميلادي كانت هناك هجرة للقبائل التركية وقد استقرت إحداها التي عرفت بالخزر على بحر قزوين.(٤٤)

وهنا يشير " أبا إيبان *Abba Eban* " إلى أصل الخزر التركي فضلاً عن إشارته لموقع بلادهم على بحر قزوين.

(*) الفاشل : أوردت الكلمة كما جاءت عند بارتولد الذي اعتبر هزائم الخزر أمام المسلمين فشل من وجهة نظره .

وكـــان "دانلـــوب" وجهـــة نظـــر أيضاً في بلاد الخزر وموقعها . إذ يقـــول : إن أراضـــي الخـــزر كانـــت فـــي مجرى نهر الفولجا الأدنى ، والســـفوح الشـــمالية لجـــبال القوقـــاز ، وامتدت إلى الأراضي القائمة حول بحـــر أزوف ، وفـــي القـــرن التاســـع الميلادي امتدت إلى ما وراء غرب مدينـــة كيـــيف ، ووســـط نهـــر الدينيـــبر ، بـــل وامـــتد نفوذهم حتى نهر جـــيحون *oxus* وقـــد وقعـــت بـــلاد الخـــزر بذلـــك عـــبر الخط الطبيعي للتوسع العربي.(٤٥)

وهكـــذا زاد دانلـــوب مـــن رقعة بلاد الخزر حتى امتدت إلى بحر أزوف غـــرباً علـــى البحر الأســـود ، وإلـــى مدينـــة كيـــيف بروسيا في الشـــمال ، وإلـــى وســـط نهـــر الدينيـــبر في الشمال الغربي ، بل وامتدت إلـــى بـــلاد مـــا وراء الـــنهر *Transoxania* حتى نهر جيحون *oxus* بولاية أوزبكستان الحالية .

ويـــنقل "محمـــد عـــبد الشـــافي" المغربـــي عند دنلوب وجهة نظره فـــي موقـــع بـــلاد الخـــزر ويضيف : أن عاصمة الخزر كانت على مقربة مـــن اســـتراخان الحالـــية ، وقـــد أطلق عليها من قبل "بلاند شار *Bland Shar*" ، وتمتد من جنوب روسيا حتى غرب أوربا.(٤٦)

ويؤكـــد "محمـــود شـــيت خطاب" استقرار الخزر في المنطقة التي تقـــع خلـــف مدينـــة بـــاب الأبـــواب على الساحل الشمالي الغربي من بحر قزويـــن بالقـــرب مـــن مصـــب نهـــر الفولجا والتي تعرف ببلاد الخزر ، وتمـــتد حـــتى جـــبال القوقـــاز مـــن جهـــة وإلـــى إقلـــيم خـــوارزم مـــن جهة أخرى.(٤٧)

وتتـــبقى الإشـــارة أن بـــيوت الخزر قد شيدت على شكل دائري ، وقـــد غاصـــت فـــي الأرض بحكـــم عـــامل الزمن ، ويقول علماء الآثار

السوفيت أن هذه البيوت كانت منتشرة في جميع الأقاليم التي عاش فيها الخزر ، وأنها تعد مرحلة سابقة لمبانيهم المستطيلة الشكل ، ويبدو أن البيوت الدائرية كانت ترمز إلى مرحلة الانتقال من خيام قبابية الشكل يسهل حملها إلى مساكن دائمة أي الانتقال من البداوة إلى ما يمكن تسميته شبه استقرار.(٤٨)

ويؤكد ابن رسته هذه الرؤية فيقول : ومدينتهم سارعشن وبها مدينة أخرى يقال لها هب نلغ أو حبنلع ، ومقام أهلها في الشتاء في هاتين المدينتين ، فإذا كان أيام الربيع خرجوا إلى الصحاري فلم يزالوا بها إلى إقبال الشتاء.(٤٩)

ويقول كيستلر : وقد أثبتت الحفائر أن المملكة في عهدها الأخير كانت محاطة بسلسلة محكمة من الحصون التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن والقرن التاسع الميلادي ، وقد حمت حدودها الشمالية المواجهة للسهوب المفتوحة حيث شكلت هذه الحصون قوساً نصف دائري تقريباً يمتد من القرم عبر السهول المنبسطة أدنى نهري الدونستز والرون إلى نهر الفولجا . على حين حمتها من الجنوب جبال القوقاز ، ومن الغرب البحر الأسود ، ومن الشرق بحر الخزر أي قزوين.(٥٠)

وقد بسط الخزر وهم في مجدهم نفوذهم على ثلاثين عشيرة وقبيلة تسكن في الأقاليم الواقعة بين القوقاز وبحر أرال ، وجبال أورال ومدينة كييف ، والسهول الأوكرانية ؛ مما يدل على اتساع رقعة بلاد الخزر جغرافياً وسياسياً. وبمتابعة الأطلس في العصر الحديث يمكن القول إن بلاد الخزر يحدها شرقاً بحر قزوين وولاية

قازخستان ، وغرباً أوكرانيا ، وجنوباً آذربيجان وآرمينيا وجورجيا ، وشمالاً روسيا ، وأهم مدنهم الحالية استراخان.

تلك إشارة سريعة إلى موقع بلاد الخزر وأهميته ، وأبرز مدنهم ، ومناطق نفوذهم ، لننتقل بعد ذلك إلى إلقاء الضوء على ظهور الخزر على مسرح التاريخ .

ثانيا : ظهور الخزر على مسرح التاريخ

ذكر " كيستلر *Koestler* "[٥١] أن اسم " الخزر" ظهر لأول مرة كشعب من الشعوب التي قطنت منطقة القوقاز ؛ من خلال حوليه سريانية كتبها " زكريا ريتور *Rhtor* " ترجع إلى منتصف القرن السادس الميلادي ، وتشير إلى بعض المصادر التاريخية إلى أنهم ظهروا على مسرح الحياة قبل ذلك بقرن من الزمان ، وكانوا على صلة "بالهون" ؛ حيث أرسل الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني عام ٤٤٨م سفاره إلى " اتيلا " ملك الهون فكان من بين أفرادها " بريسكس *Priscus* " : ذلك الخطيب الفصيح الذي لم يكن حريصاً على تدوين المفاوضات الدبلوماسية بين الطرفين فحسب وإنما — أيضاً — تدوين المؤامرات التي كان بلاط " اتيلا " يحيكها ضد البيزنطيين .

وقد تحدث " بريسكس " هذا عن شعب خضع للهون عرف باسم " أكاتزير " : وهم على الأرجح آك — خزر (آق — خزر) أي الخزر البيض ؛ تمييزاً لهم عن الخزر السود كارا — خزر (قارا — خزر) ولم يفت "الإصطخري"[٥٢] هذا التمييز حين قال: "الخزر لا يشبهون الأتراك ، وهم سود الشعر ، وهم صنفان : صنف يسمون قرا خزر وهم سُمر يضربون لشدة السُمرة إلى السواد كأنهم صنف من الهند ، وصنف ببض ظاهر الحسن والجمال " .

وإن لم يذكر " الإصطخري " اسم الصنف الثاني فهو قياساً على الأول يكون (آن — خزر) الخزر البيض ، الذي وصفهم "ابن رسته" بالحسن والجمال ، كما قال بذلك ابن حوقل[٥٣] وياقوت.[٥٤]

وممـا يجـدر ذكـره أن الإمـبراطور البيزنطـي "ثيودوسـيوس الثانـي" حـاول أن يكسـب شـعب الخزر المحارب إلى جانبه ضد سطوة الهـون ؛ علـى روايـة "بريسـكس" ، لكن "كاريداخ" ـ رئيس الخزر ـ طلـب مـزيداً مـن المقـابل ، وانضم إلى جانب "الهون" ؛ لتحقيق بعض الأطمـاع الشخصـية ، فلمـا انتصـر "اتـيلا" علـى منـاوئـيه ، ومناوئ "كـاريداخ" نصـب " كـاريداخ" حاكمـاً "للأكاتزيـر" ، وزيـادة في حسن العلاقات بين الطرفين دعاه " اتيلا" لزيارة بلاطه .

وفـي اللقـاء الـذي تـم بيـنهما ، جـرت محاورة أظهر خلالها الثانـي مدحـاً وإطـراءً " لإتـيلا " وشبهه بالإله ، بل قال أنه أعظم الآلهة ، فاغتـبط عـندئذ " اتـيلا " بهذا المدح والإطراء ، وثبت " كاريداخ " في حكمه.(٥٥)

هكـذا تشـير حولـيه " بريسـكس " إلـى أن ظهور الخزر على مسرح التاريخ الأوربي يرجع إلى منتصف القرن الخامس الميلادي .

ويذكـر "دنلـوب"(٥٦) فـيما رواه عـن ميخائـيل السـوري وابن العـبري : " أن أخـوة ثلاثـة فـي عهـد الإمبراطور البيزنطي " موريس (٥٨٢-٦٠٢م) " قـاموا بالـزحف مـن سـيز الداخلـية *Inner sythia* باتجـاه الغـرب مـع جيش قوامه ثلاثون ألف رجل ، وعندما وصلوا إلى حـدود الإمـبراطورية البيزنطـية عـبر واحد منهم واسمه "بلغاريوس" ـ ذكـره "ابـن العـبري" "بلغـاريس" ـ نهـر الـدون ، واسـتقر داخـل الإمـبراطورية ، أمـا الآخـران فقـد احـتلا بلاد "اللان" التي تدعى باسم "برسـاليا *Barsalia*" وإن هـؤلاء مـع السـكان الأصليين تبنوا اسم الخزر نسـبة إلـى "كـزريخ" أكبر الأخوين سناً . وقد روى ذلك يحي الأفسوسي *John of Ephesus* ت حوالـي ٥٨٦م ، فهـو معاصـر للحـدث ، وتشير

روايته إلى أن الخزر قدموا بلاد القوقاز من آسيا الوسطى حوالي منتصف القرن السادس الميلادي .

ويشير "بارتولد"[٥٧] إلى الرواية ذاتها ولكن بتصحيف ملحوظ ، فيذكر : " أنهما أخوان وليسا ثلاثة ، وهما بلغاريوز *Bulgharioz* وخزريج *Khazarig* ، وهما اللذان نشأ البلغار والخزر من صلبهما ". مما يدل على صلة القرابة بين الشعبين البلغاري والخزري ولقد اتفق "الإصطخري" مع "بارتولد" في هذه الرؤية بيد أنه خالفه في جزئية وهي أن بارتولد جعل القرابة تعتمد على صلة الدم ، "فبلغاريوز" و"خزريج" أخوان ، بينما جعل "الإصطخري" القرابة تقوم على اللغة حيث قال : " ولسان بلغار مثل لسان الخزر " .

ويذكر " دنلوب "[٥٨] أن هجرة لبعض النازحين من آسيه إلى أوربا شملت قبائل ، تارنياخ *tarniakh* ، كوتزاغير *Kotzagero* ، وزبندر *Zabender* ، ولعل وجه الشبه واضحاً بين اسمي زبندر ، سمندر التي كانت مدينة خزرية .

وعلى ذلك يكون الخزر قد وصلوا إلى أدرنة الشرقية أثناء حكم الإمبراطور البيزنطي "موريس" بعد احتكاكهم من قبل بالأتراك الغربيين.[٥٩]

ويذكر "كيستلر" : أنه بعد انهيار إمبراطورية "الهون" ووفاة "اتيلا" اندفعت جماعات متعددة من الهجرات ، كالأجور ، والآفار في الوقت الذي كان فيه " الخزر " يخزون جورجيا وأرمينيا ، وأصبحوا خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي السلطة المهيمنة من بين قبائل شمال القوقاز على المنطقة حتى لم يعد هناك ذكر لقبائل السابير ، والساراجور ، والسامندر ، والاتجار .

إذ أخضعهم الخزر لحكمهم ، وبالرغم من مقاومة البلغار العنيفة لنفوذ الخزر، إلا أنهم لاقوا المصير نفسه على إثر هزيمتهم عام ٦٤١م، وانشطروا نصفين "بلغار" الدانوب ، و "بلغار" الفولجا .

وتجدر الإشارة إلى أن " الخزر " قد مارسوا الحكم من خلال الأتراك الغربيين سابقاً تحت قيادة "الخاقان"[٦٠] الذي أصبح لقبه هو نفس لقب ملك الخزر فيما بعد .. هذا وقد عاشت دولة الأتراك الغربيين حوالي قرناً من الزمان من عام ٥٥٠ م حتى ٦٥٠م ، ثم تفككت وانزوت من التاريخ .

وبالتالي يكون " الخزر " قد خضعوا لنفوذ " الهون " ، قبل الأتراك الغربيين ، وعندما انتهت دولة الأتراك الغربيين في منتصف القرن السابع الميلادي حل " الخزر " محلهم في حكم مملكة الشمال .

وإذا كان تاريخ الخزر لا يمكن معرفته بمعزل عن التاريخ الفارسي والبيزنطي ؛ لما لهم من علاقات مشتركة ؛ نحاول أن نظير جوانبها في المطلب التالي .

إذ يذكر "اليعقوبي"[٦١] : " أن "أردشير بن بابك" أول ملوك الفرس المتمجسه زحف بقواته حتى وصل إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان" . أي أن الفرس احتكوا ببعض ممتلكات الخزر بأرمينية .

ومن خلال الصراع بين الفرس والبيزنطيين يحدثنا "الطبري"[٦٢] عن قيام "لليانوس" الإمبراطور البيزنطي بجمع جموع من الروم و"الخزر" ومن كان في ملكه من العرب في قتال الملك الفارسي "سابور بن أردشير" وبالطبع "لليانوس" هذا هو "جوليان" ابن عم "قسطنطينوس" .

ويؤكد "ستيفن رنسيمان"[٦٣] : أن جوليان حاول غزو بلاد فارس وأمعن في زحفه ولكنه عند عودته لقي حتفه في صيف عام ٣٦٣م. أي أن : للخزر ذكر منذ منتصف القرن الرابع الميلادي .

وقد أكد اليعقوبي[٦٤] هذا الصراع فذكر : " أن سابور غزاه ملك الروم ، وهو "إليانوس" ، فأعانته العرب من جميع القبائل ، دون أن يشير إلى دور " الخزر " في هذا الصراع .

وذكر "اليعقوبي"[٦٥] بعض العلاقات العدائية بين الفرس والترك وربما قصد بالترك "الخزر" ، فيذكر أن ملك الفرس "يزدجرد بن سابور" بعد موته خلفه ابنه "بهرام جور بن يزدجرد" وكان منشاغلاً عن الرعية محباً للصيد واللهو فطمع فيه الترك ، واعتزم "خاقان" السير بجيوشه تجاهه ، وعندئذ هب "بهرام" لمواجهة قوات "خاقان"، ونجح في صد هذا الهجوم الذي راح ملك الترك ضحية له .

ومع أن اليعقوبي[٦٦] لم يصرح باسم الخزر ، فإن سير الأحداث يوضح أنهم هم المقصودون من كلامه ، يقول : أنه بعد وفاة "بهرام جور" ملك الفرس خلفه ولده يزدجرد ، وكان له ابنان أحدهما هرمز ، والآخر فيروز ، فملك الأول بعد أبيه ، وهرب الثاني إلى بلاد "الهياطلة" بحثاً عن تأييد ملكها بعد أن قص عليه الموقف ، فأمده ملك الهياطلة ببعض قواته فعاد فيروز مقاتلاً أخاه وجنده حتى تخلص منه وارتقى الحكم بدلاً منه .

ولعمل " الهياطلة " الوارد ذكرهم ، كانوا إلى جوار الخزر في منطقته حسابة تُعد في مفرق بين الشرق والغرب ، لذا لا نستبعد توجيه أنظار الفرس إليها كما سيؤيد ذلك ما يأتي من أحداث .

فبعد وصول " فيروز " إلى الحكم ، اتجه إلى بلاد الترك في محاولة لتوسيع نفوذه ، وحاول ملك الترك آنذاك منعه من ذلك مذكراً إياه بالصلح المبرم بينهما من قبل ، لكنه لم يستجب لنداء ملك الترك ، فاستعد ملك الترك لذلك بخُدعة حربية ، إذ حفر خندقاً عميقاً وغطاه بطريقة تخفيه عن الأعين ، فلما اقتحمه " فيروز " سقط وجنده فيه ، وغنم الترك ما معهم وراح فيروز ومن معه ضحية هذا الصنيع .

ويمكن أن ننظر إلى هذه الرواية من وجهة نظر نقدية ، إذ ليس من المنطق أن يكون الخندق قد استوعب فيروز وجنده معاً ، ولو كان ذلك لحفر ملك الترك خندقاً كبيراً جداً حتى يتناسب مع عدد قوات "فيروز" ، ولو حدث ذلك فمن المنطق أيضاً أن يكون الفرس على علم به فيأخذون حذرهم . ولكن المقبول أن يكون فيروز وكوكبة من الجند أو بعض خاصته هم الذين لقوا حتفهم وبالطبع فقد القائد وخاصته يفت في عضد الجيش ، فالهزيمة معنوية أكثر منها حربية .

ويربط " الكرديزي[٦٧] (٤٤٢ ، ٤٤٣م) " أول ظهور للخزر بأيام الملك الفارسي " يزدجرد بن بهرام " ، حينما قام ببناء حائط بين أرمينية والخزر حتى باب الأبواب ، لكنه توفى دون استكماله ؛ مما يدل على أن نفوذ الخزر قد ازدادا مهدداً الفرس مما حدا "بيزدجرد" إلى تأمين حدود مملكته .

ويؤكد ذلك ابن العبري[٦٨] حين قال : " ولما فرغ الإسكندر من بناء سد يأجوج ومأجوج إلى موضع السد الأعظم وهو المكان الذي يعرف بالسباب والأبواب في مروج بلدان القفجاق ، فحفر موضع

الأســاس ومــدة فــي الجــبال حــتى ألحقــه بحر الروم* فلم تزل ملوك فــارس فــي طلــب هــذا الأســاس فتجشموا معرّة الترك والخزر من بلاد العــراق والجــبل وأذربــيجان وأران وأرمينــية حــتى وجــد الأســاس يزدجــرد بــن بهــرام جوربــن بهرام بن يزدجرد بن سابور ، فابتدأ ببناء السد من حجارة ونحاس ورصاص ولم يتممه .

ويــتحدث "البلاذري"[٦٩] عــن توســيع الخزر لدائرة نفوذهم في أيــام الملــك الفارســي " قــباذ بن فيروز " ، فيذكر أنهم شنوا هجوماً حتى مدينــة الديــنور ، فوجــه إلــيهم " قــباذ " قــائداً من أمهر قواده في اثنى عشــر ألفــاً ، فوطــئ بــلاد " أران " ، وفــتح ما بين النير الذي يعرف بالــرس علــى شــروان ، ثــم إن " قــباذاً " لحــق بــه فبنى بأران مدينة "البــيلقان"[٧٠] ، "وبــرذعه"[٧١] ، وهــي مدينــة الــثغر كله ، ومدينة قبله وهــي الخــزر ثــم بــنى سور اللبن فيما بين أرض " شروان " ، و " باب الــلان " ، وبــنى علــى ســد اللبــن ثلاثمائة وستين مدينة خربت بعد بناء الباب والأبواب .

ويؤيــد الطــبري[٧٢] مــا أورده الــبلاذري فيقول : " إن أمة يقال لهــا أبخــز ، وأمــة يقــال لهــا بنجر و وأمة يقال لها بلنجر و وأمة يقال لهــا "الان" تمالــئوا علــى غــزو بــلاد كســرى أنوشــروان وأقبلوا إلى أرمينــية ليغــيروا علــى أهلهــا وكــان مسلكهم إليها يومئذ سهلاً ممكناً ، فأغضــي كســرى علــى مــا كــان منهم ، حتى إن تمكنوا من بلاده وجه إلــيهم جــنود فقــاتلوهم واصــطلموهم ، ومــا خلا عشرة آلاف رجل منهم أســروا فاســتكنوا أذربــيجان ومــا والاهــا " وكــان الملك فيروز بنى في

---

* بحر الروم : وربما يقصد ابن العبري ببحر الروم بحر قزوين لأنه هو الذي يجاور بلاد الخزر

ناحية "صول" و"الآن" بناء بصخر أراده أن يحصّن بلاده عن تناول تلك الأمم إياها ، وأحدث الملك "قباذ بن فيروز" من بعد أبيه في تلك المواطن بناء كثيراً حتى إذ ملّك كسرى أمر فبنيت ناحية صول بصخر منحوت في ناحية جرجان مدن وحصون وآكام ، وبنيان كثير ، ليكون حرزاً لأهل بلاده يلجأون إليها من عدو إن دهمهم .

ويوضح "ابن العبري"[٧٣] أهمية هذا العمل ، فبعد حديثه عن جهد يزدجرد في البحث عن أساس السد الأعظم المعروف بالباب والأبواب ويقول : " وكان أكثر همّ ملوك الفرس بعده في بنائه فما تم ليتم الفراغ منه حتى سهل الله ذلك على يد " كسرى أنوشروان " ، فأحكم بنائه وألصقه برءوس الجبال ثم مده في البحر على ميل ثم غلق عليه أبواب الحديد وأقام على بنائه سنة وأكثر ، فسار يحرصه مائة رجل بعد أن لم تكن تطيقه مائة ألف رجل من الجند ، وأذن بالمرزبان الذي يقيم هناك بالجلوس على سرير الذهب ولذلك يسمى ملك تلك الناحية بملك السرير" .

وهكذا أوضح ابن العبري أهمية موقع السد في حماية بلاد فارس من خطورة نفوذ الخزر وغيرهم ويعدّ السد تعبيراً عن زيادة نفوذه تجاه الخزر أيضاً ، وعلى صعيد آخر أوضح بناء سد باب الأبواب سمة من التطور ، فلشدة استحكاماته انخفض عدد حراسه من مائة ألف إلى مائة فقط ، وهذا تخفيض هائل لعدد الجنود يمكن استخدامهم في الأغراض القتالية الأخرى ، وفضلاً عن ذلك أصبح هناك حاكم لتلك الناحية أطلق عليه ملك السرير .

ولأهمية منطقة القوقاز على وجه العموم فإن "كسرى الأول" نصب ملوكاً تابعين له فيها على رواية كريستنسن[٧٤] وبالطبع

استفاد كريستنسن في هذه الرواية مما أورده "البلاذري"[٧٥] حين قال : " وملّك أنوشروان ملوكاً رتبهم ، وجعل لكل امرئ منهم شاهية وناحية ، فمنهم "خاقان الجبل" : وهو صاحب السرير ، ويدعي وهرارزانشاه ، ومنهم ملك فيلان شاه ، ومنهم طبراسرانشاه ، وملك الكنز ، ويدعى جرششان شاه ، وملك ليران ويدعى ليران شاه ، وملك شروان ، ويدعى شروانشاه ، وملك صاحب بخ على بخ ، وصاحب زريكران عليها ، وأقرّ ملوك جبل القبق على ممالكهم ، وصالحهم على الإتاوة ، فلم تزل أرمينية في أيدي الفرس حتى ظهر الإسلام . فرفض كثير من السياسيجين حصونهم ، ومدائنهم حتى خربت وغلب الخزر والروم على ما كان في أيديهم " .

وللتعرف على أهميّة الخزر عند الفرس يذكر " كيستلر *Koestler* "[٧٦] أن الملك الفارسي "كسرى أنوشروان" كان له ثلاثة عروش ذهبية في بلاطه خصصها لكل من : "إمبراطور بيزنطة" ، و"إمبراطور الصين" ، و "إمبراطور الخزر" بالرغم من عدم زيارة أي منهم بلاد الفرس .

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح فإنها تعبر عن تطلع ملك الفرس لاحتواء تلك القوى ، ومما يعضد هذه الروية ما دوّنه الإمبراطور "قسطنطين يورفور جنتوس" عن الخاتم الثلاثي الذهبي الذي خصصه مكتب المحفوظات الإمبراطورية للرسائل الموجهة إلى حاكم الخزر .

ويستفاد من ذلك أن دولة الخزر أصبحت في مصاف الدول الكبرى بدليل مساواة الرواية بين حاكمها وحاكمي بيزنطة والصين في لفظة إمبراطور .

ولأجل هذا وللخوف من المستقبل لم يتوان الفرس في مقاومة نفوذ الخزر . فيقول اليعقوبي[٧٧] : " وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية ، وعليها ملك يقال له خاقان وله خليفة يقال له يزيد بلاش على الران . وجرزان ، والبسفرجان ، والسيسجان ، وكانت هذه الكورة تسمى أرمينية الرابعة التي افتتحها "قباذ بن ملك الفرس" ، فصارت إلى أنوشروان إلى باب اللان مائة فرسخ وفيها ثلاثمائة وستون مدينة .

ويفصّل "الطبري"[٧٨] الصراع المتكرر بين ملك الفرس ، وهرقل إمبراطور الروم ، وأثر ذلك على الخزر ، فيقول : "بعد أن سار كسرى جنوب أنطاكية واستولى على بعض ممتلكات هرقل اضطر الأخير إلى دفع فدية له ،ثم عرج " كسرى أنوشروان " على بلاد الخزر مهدداً إياها . لكن هرقل لم يقف مكتوف الأيدي فذكر "كريستنسن"[٧٩] أنه أوقف آخر الأمر الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس ، فاستعاد آسيا الصغرى ، وتقدم طارداً جيوش كسرى من أرمينية وأذربيجان ، واستولى عام ٦٢٣ –٦٢٤م على مدينة "جنزك *Ganzak*" حيث ضرب بيت نار "آنركشنسب". فهرب منه كسرى حاملاً النار المقدسة .

ويبدو أن هذا النصر حفّز الخزر ، فقاموا في السنوات التالية بالاستيلاء على دربند وعقدوا حلفاً مع الإمبراطور ، لكن سير الأحداث يشير إلى أن الحلف كان رغبة من الإمبراطور " هرقل " لما قدمه الخزر من عون صادق له في حربه ضد الفرس عام ٦٢٧م .

فيذكر "كيستلر *Koestler*"[٨٠] أن الخزر أمدوا هرقل بأربعين ألف فارس بقيادة "زبيل" : الذي تجرأ واغتر بقوته واتجه صوب

تفلـيس ضـارباً حولهـا الحصـار ، وفي العام التالي ٦٢٨م عاون الخزر هرقل واستولوا على تفليس عاصمة جورجيا مقتسمين غنائمها .

وقـد صـور " ثـيوفانس ٧٥٨ – ٨١٨م " هـذا الـتحالف بيـن هـرقل والخـزر ضـد الفـرس والآفـار ، والـذي نقل الخزر على أثره خـيامهم مـن سـهول نهـر " الفولجا " إلى " جورجيا " والتقى بهم هرقل قـرب تفلـيس ، وخلـع حيـنذاك الإمـبراطور هرقل تاجه ووضعه على رأس الأمـير التركـي "زبـيل" ، ثـم حـياه بعناق حار ، معتبراً إياه أحد أبـنائه ، وبعـد مأدبـة أقامهـا لـه قـدم إليه عدداً من التحف والهدايا والمجوهـرات ، وأغـراه هـرقل بالـزواج مـن ابنـته الوحيدة يودوكيا (يودوشـيا). وعلـى الفـور أعـان "زبيل" هرقل بأربعين ألف حصان ، كمـا أهـدى الإمـبراطور ولـده ليكون من خاصته مقابل الزواج الذي لم يتم لوفاة " زبيل " فيما بعد .

ومـن حولـيه أرمينـية يذكـر " كيستلر " في الحملة السابقة ضد فـارس أن حـاكم الخـزر أصـدر أمره إلى جميع القبائل والشعوب التي تحـت حكمـه ، وسـكان الجـبال والسهوب : الذين يعيشون في بيوت أو فـي الهـواء الطلـق ، والذين حلقوا رءوسهم ، وتركوا شعورهم طويلة ، بالاسـتعداد لخـوض الحـرب ضـد الفـرس علـى جانـب الإمبراطور البيزنطـي " هـرقل " وتلـك إشـارة واضـحة إلـى التركيـبة العرقـية المتغايرة المختلفة العناصر التي تكونت منها دولة الخزر .

وهكـذا نلمـح ظهـور الخـزر علـى مسـرح التاريخ من خلال الصـراع المستمر بيـن الفـرس والبيزنطييـن ، وقد برزت قوة الخزر مـن خـلال هـذا الصـراع فـتحالف معهـم هرقل ؛ مما زاد من نفوذهم فهـاجموا بـلاد فـارس فـي عهـد هرمز بن كسرى أنوشروان حيث قال

اليعقوبي[٨١] : "وأقبل ملك الخزر في جموع حتى نزل أذربيجان " دلالة على علو كعبهم الذي أكده البلخي حين قال : " وملك هرمز بن كسرى أنوشروان ، فجار وعسف ، فزحفت إليه الجيوش من النواحي الأربع : الروم ، والترك والخزر ، واليمن[٨٢] ؛ مما يؤكد زيادة نفوذ الخزر الذين كانوا على قدر المساواة مع البيزنطيين وغيرهم من حيث تهديد الفرس. وبالطبع الاتفاق بينهم وبين البيزنطيين في الهدف ضد فارس جعل لهم مكانة لدى البيزنطيين ، فيذكر "دنلوب"[٨٣] أن : الرسائل التي كانت ترسل في القرن العاشر الميلادي من القسطنطينية إلى خاقان ملك الخزر كانت تُمهر بخاتم ذهب أوسع وأرشق من أختام الرسائل المرسلة إلى بابا روما آنذاك وخلفاء شارلمان .

ويؤكد ذلك "كيستلر"[٨٤] فيقول : " لعبت دولة الخزر وهي في أوج سلطانها من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي دوراً مهماً في تشكيل أقدار أوربا في العصور الوسطى ، وبالتالي في العصور الحديثة ، ولابد أن الإمبراطور البيزنطي المؤرخ "قنسطنطين بورفيرو جينتوس *Constantine Porphyrog Gentius*" (٩١٣ – ٩٥٩م) وكان على بينة من هذا الأمر حين دون في مؤلفه عن مراسم البلاط أن الرسائل الموجهة إلى البابا في روما ومثلها تلك الموجهة إلى إمبراطور الغرب كانت تحمل خاتماً ذهبياً ملحقاً بها قيمته صولدان على حين كانت الرسائل الموجهة إلى إمبراطور الخزر تحمل خاتماً ذهبياً قيمته ثلاث صلدات ، ولم يكن ذلك بغية التملق ولكن إقراراً للسياسة الواقعية *real politik* " .

ولا ننسى أن الإمبراطور البيزنطي ليو الرابع (٧٧٥ – ٧٨٠ م) المعروف "بالخزري" وهو ابن أميرة خزرية تزوجت من الأمير

البيزنطي قسطنطين الخامس: كبرينوموس *Copronymus* (٧٤١-٧٧١م) كان نتاج هذه العلاقة .

وخلاصة القول : فإن السهوب الأوربية الشرقية كانت في القرن السادس الميلادي بما في ذلك حوض نهر " اتيل " تابعة للمملكة التركية البدوية ، وكان هذا شأن سهوب آسيا الوسطى إلى حدود الصين ، وتذهب المصادر العربية وتتفق معها الروسية إلى أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركي " قاغان " وهو بالعربية "خاقان" ، والروايات التي يوردها العرب عن الحفلات التي كانت تقام عند اعتلاء كل خاقان جديد تتفق تماماً مع كل ما ذكرته الروايات الصينية عن الحكام الترك في القرن السادس الميلادي .

ويُستشف من ذلك أن مملكة الخزر نشأت مباشرة من الإمارات التركية التي ذكرها الكتاب البيزنطيون والتي كانت جزءًا من مملكة البدو في القرن السادس الميلادي .

ومما تجدر الإشارة إليه أن دولة الخزر ذكرت لأول مرة كدولة لها شأنها عام ٦٢٧م باعتبارها حليفة قوية للإمبراطورية البيزنطية في حروبها ضد الفرس ومما يذكر أنه لم تكن بها حاضرة على نهر "اتيل" وقتذاك ، ولم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجري الأدنى لنهر "اتيل" إلا بعد صراعهم ضد العرب في بداية القرن الثاني للهجرة بعد عام ٧٢٠م .

ويؤكد كل من ابن خرداذبة ، وابن فضلان ، والإصطخري ، وابن حوقل ، والمقدسي ، والكرديزي ، وياقوت ، وكي لسترنج أن الخزر كانوا يسكنون إقليم نهر "اتيل" (الفولجا) ، ومن الشعوب التي ذكرت وكانت تقطن الأرض الواقعة بين الخزر والبلغار شعب

"البرطاس" ، وقد خضعوا للخزر وتقع أرض الخزر على مسيرة خمسة عشر يوماً من بلاد "البرطاس" ، والمسافة بين مساكن هؤلاء ومساكن البلغار يقطعها المسافر في ثلاثة أيام . أي أن مساكن البرطاس أقرب إلى البلغار ، ولخضوعهم للخزر دلالة على زيادة نفوذ الخزر واستيلائهم على أرض البلغار كما أشرنا لذلك من قبل .

وعلى ضوء ما تقدم أصبح للخزر واقع سياسي ملموس دلالته حكومة وشعب متعدد الجنسيات ، يعيش على رقعة جغرافية امتدت من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً ، ومن جورجيا وأذربيجان جنوباً إلى روسيا شمالاً ، وأصبحوا بعد ضعف الفرس إحدى القوى السياسية الثلاث إلى جانب المسلمين والدولة البيزنطية ، الذين لهم وزنهم السياسي ولكي يكتمل هذا الواقع السياسي لابد أن نشير إلى العقيدة التي اعتنقها حكام الخزر وشعبهم .

ثالثاً : عـقـيدة الخـــزر :

لا يخامـرنا شـك فـي أن اعتـناق الخـزر اليهودية كان اعتناقاً سياسـياً أكـثر مـن كونـه دينـياً ؛ ذلـك لأنهـم أدركوا أهمية موقعهم جغرافـياً وسياسـياً بيـن قوتين كبيرتين هما : الخلافة الإسلامية من جهة والإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى .

ومـن هـنا تطلـع الخـزر إلى تبوء موقع مستقل لا ينحازوا فيه إلـى الشـرق الإسـلامي ولا إلـى الغـرب المسـيحي ، فاعتـنق ملكهم وحاشـيته الـيهودية فـي منتصـف القـرن الثامـن الميلادي تقريباً على أغلب الروايات .

وممـا يذكـر انـه حـتى قـبل تحـول الخزر إلى اليهودية كانت بلادهـم مـأوى طبيعـياً لكثـير مـن هجـرات اليهود الذين وفدوا إليها ؛ هـرباً مـن اضـطهاد بعـض أباطرة بيزنطة ، فأصبحت بلاد " الخزر " بمـثابة الوطـن القومـي للـيهود ، ولكـنها فـي الوقت نفسه ضمت إلى جانبهم المسلمين والمسيحيين .

وسـوف نعـتمد فـي توضـيحنا لاعتناق الخزر لليهودية على ما أمدتـنا بـه المصـادر العربـية والأجنبية : كابن رسته ، والإصطخري ، وابـن حوقـل ، والمقدسـي ، والمسـعودي ، ويـاقوت ، وكيسـتلر ، ودنلـوب ، ودائـرة المعـارف الـيهودية ، ومـا ذكـره أبـا إيـبان ، ومراسلات حسداي بن شبروط .

ولعـل "ابـن رسـته"[٨٥] هـو محدثـنا الأول في هذا الصدد حيث قـال : " ولهـم ملـك يقـال له " إيشـا " ، والملك الأعظم إنما هو " خزر خاقـان " ولـيس له مـن طاعـة الخـزر إلا الاسم ، ومقدار الأمر على "إيشـا" إذ كـان فـي القـيادة والجـيوش بالموضع الذي لا يبالي معه أحد

فوقـه ، ورئيسـهم الأعظـم علـى ديـن اليهود وكذلك " إيشا " ومن يميل ميله من القواد والعظماء،والبقية منهم على دين شبيه دين الأتراك " .

وبهـذه الكلمـات أوضـح " ابـن رسـته " اعتناق ملك " الخزر " ونائـبه والقـواد ، والعظمـاء أي علـية القوم ووجهاؤهم لليهودية ، وعلى صـعيد آخـر أشـار "ابـن رسـته"[٨٦] إلى ثنائية الحكم حين قال : فالأمر كلـه يقـوم بـه إيشـا بينما الملك الأعظم " خزر خاقان " الذي ليس له من طاعة الخزر إلا الاسم ، لكن الحكم لا يستقيم إلا به .

وعـن الموضـوع نفسـه يقـول الإصطخري[٨٧] : وملكهم يهودي يقـال إن له مـن الحاشـية نحـو أربعـة آلاف رجل ، والخزر مسلمون ونصـارى ويهـود ، وفـيهم عـبده أوثـان ، وأقل الفرق اليهود وأكثرهم المسـلمون والنصـارى ، إلا أن الملـك وخاصـته يهـود ، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم .

وهكـذا أشـار "الإصـطخري" إلـى العقـيدة التي وجدت في بلاد الخـزر ممـثلة فـي : الإسـلام ، والمسـيحية ، واليهودية ، وكذلك عبادة الأوثان ، إلا أن الملك وخاصته اعتنقوا اليهودية .

ويـنقل "ابـن حوقـل"[٨٨] نـص "الإصـطخري" دون زيادة ، أما "المقدسـي"[٨٩] فـيقول : " وكـان ملكهـم يهوديـاً لـه رسـوم وحكام مسـلمون ، ويهـود ، ونصـارى ، وعـبدة أوثان . وربما قصد المقدسي بالحكام (القضاة) .

ويشـابه "الكرديـزي"[٩٠] " ابـن رسـته " فـي كلامه عن الخزر لكـنه يسـمي ملكهـم " بالشـاد " فيقول : " وليم ملك عظيم يسمى " الشاد " كمـا أن لهـم ملكـاً عظـيماً آخر يسمى " خاقان الخزر " ، وليس له إلا الاسـم فقـط ، أمـا مـدار كـل شئ الولاية والحشم فهو على " الشاد " ،

ولـيس هـناك إنسـان أعظـم منه مطلقاً ، ورئيسهم الأعظم يهودياً ، وكل مـن يمـيل إلـيه مـن الكبراء والعظماء كذلك ، أما الباقون فهم على دين يشبه دين الأتراك الغُز .

وهـنا نلاحـظ أن "الكرديـزي" قـال بثنائية الحكم في بلاد الخزر وفـي الوقـت نفسـه أكـد علـى يهودية الملك ووجهاء القوم ؛ بينما باقي الرعـية علـى ديـن يشـبه ديـن الأتـراك الغز ، وقد أكد المقدسي نفس المعنى من قبل .

وعـن ثنائـية الحكـم التـي قـال بهـا كـل مـن "ابـن رسته" و"الكرديـزي" ، يقـول أيضـاً "اليعقوبـي"[٩١] عـند كلامـه عـن ممالك "الجربـي" وكانـت الخـزر المتغلـبة علـى عامة أرمينية الرابعة وعليها ملـك يقـال له "خاقـان" وخليفة يقال له يزيد بلاش علي الران ، وخزران ، والبسـفرجان ، والسيسـجان ، وكانـت هـذه الـبلاد تسـمى أرمينـية الرابعة .

بـيد أن "المسـعودي"[٩٢] تحـدث كثـيراً عـن مسـألة تهود ملك الخـزر فقـال عـند حديـثه عـن مدينة "آمل" وربما قصد "إتل" "وفي هذه المدينـة خلـق مـن المسـلمين ، والنصارى ، واليهود ، والجاهلية ، فأما الـيهود فـالملك وحاشـيته والخـزر جنسه ، وكان تهود ملك "الخزر" في خلافـة هـارون الرشـيد (١٧٠ـ١٩٣/٧٢٣ـ٧٤٠م) وقـد انضاف إليه خلـق مـن الـيهود وردوا علـيه مـن سـائر أمصار المسلمين ومن بلاد الـروم ، وذلـك أن ملـك الـروم فـي وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائـة وهـو أرمـنوس ، نقـل مـن كان في ملكه من اليهود إلى دين النصـرانية وأكـرههم ... فـتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى

أرضه وأما ما في بلادهم من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم في أحد جانبي هذه المدينة.

وينقل لنا "دنلوب"[٩٣] و"كيستلر"[٩٤] مناظرة دينية جرت بين ممثلي المسلمين والمسيحيين واليهود بحضور ملك الخزر يظهر من خلالها أسباب اعتناقه اليهودية ، وكان مصدر هذه المناظرة "البكري الأندلسي" ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، جاء فيها : " إن ملك الخزر كان قد اعتنق المسيحية ثم أدرك بهتانها ، فناقش هذه المسألة مع أحد كبار موظفيه فقال له هذا : أيها الملك إن من لهم كتب مقدسة ينقسمون إلى جماعات ثلاث فأرسل في استدعائهم ، واطلب إليهم أن يوضحوا قضيتهم ، ثم اتبع من يمتلك الحقيقة.

وبناءً على ذلك استدعى ملك الخزر من المسيحيين أسقفاً ، وكان مع الملك يهودي بارع في الجدل أغراه بالدخول في مناظرة فسأل الأسقف ماذا تقول في موسى بن عمران ، وفي التوراة التي أوحيت إليه ؟ فأجاب الأسقف إن موسى رسول وإن التوراة تنطق بالحقيقة ، وعندئذ قال اليهودي : لقد اعترف فعلاً بصدق عقيدتي فلنسأله الآن بماذا يؤمن هو ؟ فسأله الملك وأجاب الأسقف : أقول إن عيسى المسيح بن مريم هو الكلمة وأنه أوحي بالأسرار باسم الرب : وهنا قال اليهودي للملك : إنه يبشر لمذهب لا أعرفه على حين أنه يقرّ أقوالي : ولكن الأسقف لم يكن قوياً في إبراز حجته ، ثم أرسل الملك يستدعي مسلماً فأرسل إليه عالماً ذكياً برع في المناقشات ، ولكن اليهودي رشا شخصاً ما دس له السم فمات ، وهو في طريقه إلى الملك .

وهكذا نجح اليهودي في كسب ملك الخزر إلى عقيدته فاعتنق اليهودية ، وإن كان ميل ملك الخزر واضحاً إلى اليهودية من قبل بدليل أنه استند في هذه المناظرة إلي يهودي كان بجواره .

وأخيراً يقول "ياقوت"[٩٥] الذي اعتمد فيما رواه على "ابن فضلان" و"الإصطخري" : " وملكهم يهودي ، ويقال : إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل ، والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان ، وأقل الفرق هناك اليهود على أن الملك منهم ، وأكثرهم المسلمون والنصارى ، إلا أن الملك وخاصته يهود ، والغالب على أخلاقهم ، أخلاق أهل الأوثان يسجد بعضهم لبعض عن التعظيم ".

وبهذا نقل "ياقوت" عن "ابن فضلان والإصطخري" اعتناق ملك الخزر لليهودية ، لكنه أوضح تعصب هذا الملك ضد المسلمين فيذكر : أنه لما اتصل بملك "الخزر" سنة ٣١٠هـ أن المسلمين هدموا الكنيسة التي كانت في دار "البابونج" ، أمر بالمنارة فهدمت ، وقتل المؤذنين ، وقال لولا أني أخاف أن لا يبقى في بلاد الإسلام كنيسة إلا هُدمت ، ليهدمت المسجد. والخزر كلهم وملكهم يهود ، وكان الصقالبة ومن يجاورهم في طاعته ، ويخاطبهم بالعبودية ، ويدينون له بالطاعة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم الخزر.

وهكذا ألقت المصادر العربية الضوء على اعتناق ملك الخزر وحاشيته اليهودية ، كمذهب سياسي لا ديني حتى يتمكن من خلالها رسم سياسة مستقلة لدولته بين الشرق والغرب لكونها تمثل قوة ثالثة آنذاك .

ونحـاول الآن أن نعـرض لمـا أوردتـه المراجع الأجنبية بشأن تهـود الخـزر وملكهـم ، فـيذكر كيستلر *Koestler*[٩٦] أنه في عام ١٢٣ هـ/٧٤٠م تقريـباً اعتـنق ملـك الخـزر وحاشـيته والطـبقة العسـكرية الحاكمـة "اليهودية" التـي أصـبحت الديـن الرسمي لدولة الخزر. ومما لاشـك فـيه أن الدهشـة قـد أصابت معاصريهم بهذا القرار ، بالقدر الذي أصـاب الباحثيـن المعاصـرين بعـد وقوفهم على ما يؤيد ذلك من خلال المصادر العربية، والبيزنطية ، والروسية ، والعبرية .

ويعلـق المـؤرخ "انـتال بارتـا"[٩٧] على اعتناق الخزر لليهودية فـي كـتابه: "المجتمع المجـري في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين" ـ وهـي تلـك الفـترة التي مارست فيها دولة الخزر سيادتها على المجريين ـ قـائلاً : أصـبحت العقـيدة اليهودية الديانة الرسمية للطبقة الحاكمة في المجـتمع الخـزري ، ومـن نافلـة القول : إن قبول العقيدة اليهودية ديانة رسـمية لشـعب غـير يهـودي عرقـياً يمكـن أن يكون عرضة لتأملات مثـيرة ، وسـوف تقتصـر الملاحظـة علـى أن هذا التحول الرسمي إلى ديـن جديـد لـم تكـن لـه أيـة سلطة سياسية تناصره ، ومن هنا كان الاعتـناق مفاجـأة لكـل المؤرخين المهتمين بشعب الخزر " . وبالطبع لا يمكـن اعتـبار هـذا الـتحول أمـراً عرضياً بل يجب أن ينظر إليه على ضوء السياسة المستقلة التي انتهجتها تلك الدولة .

وعلـى ذلـك يكـون الـتحول إلى اليهودية من جانب ملك الخزر وحاشـيته وجـنده ، تحـولاً سياسـياً بالدرجة الأولى ، بحثاً عن شخصية مسـتقلة حـتى لا يكونـوا تابعيـن لأي من القوتين الإسلامية أو البيزنطية ، فيتأثروا بمراحل القوة والضعف التي تنتابهما.

وليس من شك في أن الخزر كانوا قبل تحولهم إلى اليهودية يميلون إلى الشامانية[٩٨] التي لم تستطع أن تضفي على زعمائهم سلطة روحية ؛ لما اتسمت به من بربرية وعنف ، إذا ما قورنت بالعقيدة الإسلامية في توحيدها ومنهجها ، ومن هنا توجه حكام الخزر إلى اليهودية ، مدفوعين ببواعث سياسية حتى لا يكونوا تابعين كما أشرنا للإسلام أو المسيحية بما يؤثر على سيادتهم الاستقلالية .

ويذهب "كيستلر"[٩٩] إلى أبعد من هذا التاريخ المذكور في اعتناق الخزر اليهودية فيقول : " أنه قبل ذلك بحوالي قرن من الزمان ، عن طريق المهاجرين الفارين من الاضطهاد الديني في بيزنطة ، وغيرها من بلدان آسيا الصغرى".

ولعل أباطرة بيزنطة كان لهم دورهم الفعال في هذه الهجرة ، فنرى "ليو الثالث" ٧١٧ـ٧٤٠م ـ الذي حكم خلال العقدين السابقين مباشرة لتحول الخزر إلى اليهودية عام ٧٤٠م ـ يصدر أمره بتعميد كل رعاياه اليهود ، وبالرغم من عدم تنفيذ هذا الأمر إلى حد ما إلا أنه كان دافعاً لهجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى بلاد الخزر. وهذا يؤكد ما أورده "المسعودي" من قبل.

ويضيف "كيستلر"[١٠٠] : إن الإمبراطور الروماني بازل *Basil* أجبر أفراد الطائفة اليهودية في أوريا *oria* جنوب إيطاليا على اعتناق المسيحية ، ولأن أي شخص يرفض ذلك كان يوضع في معصرة الزيتون تحت مكبس خشبي ثم يعصر بنفس الطريقة التي يعصر بها الزيتون.

ـ ننتقل بعد ذلك إلى مصدر مهم من المصادر التي أشارت إلى تحول ملك الخزر إلى اليهودية ، وهو المعروف برسائل الخزر .

رسائل الخزر : ***The Khazar Carrespondence .***

هـذه الرسـائل كتبـت باللغـة العبرية وتبودلت بين "يوسف" ملك الخـزر ، و"حسـداي بـن شـبروط" اليهودي أشهر وزراء الخليفة الأموي عـبد الرحمـن الناصـر ٣٠٠ـ٣٥٠هـ بقرطـبة ، وبالطـبع كتبـت هذه الرسـائل مـن خـلال كاتبـيهما ، وقـد جـرت بعد عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م وقبل عام ٣٤٧هـ / ٩٦٠م في الفترة التي كتب فيها "المسعودي" .

ويؤكـد "ابـن الـنديم"[١٠١] أن الخـزر كانـت تسـتخدم الأحرف العـبرية حيـث قـال : فأمـا الترك ، والبلغر ، والبرغز[١٠٢] ، والخزر ، والـلان ، وأجـناس الصـغار الأعيـن ، والمفرطـي البياض فلا قلم لهم يعـرف سـوى الـبلغر ، والتبـت فـإنهم يكتـبون بالصـينية والمنائية ، والخزر تكتب بالعبرانية " .

نعود إلى "حسداي" ونتساءل من هو ؟

ونجيـب : فـي قرطـبة عـام ٩١٠م ولد حسداي بار إسحاق بار عـزرا بـار شـبروط ، ومـا إن شـب عن الطوق حتى اشتغل بصناعة الطـب وذاعـت شـهرته فـي وصـفه الأدويـة لمرضاه ، وما إن زادت شـهرته حـتى وثـق فـيه الخلـيفة وقربه إليه طالباً منه أن ينظم الشئون المالـية للـبلاد. وبذلـك عـلا قـدره ، فقـام الخليفة "عبد الرحمن" بندبه كوزيـر للخارجـية ، وخبـير فـي حل المنازعات الدبلوماسية بين الخليفة وكـل مـن بـيزنطة ، والإمـبراطور الألماني "أتو" ، وكذلك مع قشتالة ، ونافار ، وأراجون. وغيرها من الممالك المسيحية بإسبانيا ...[١٠٣]

وقـد نجـح حسـداي بالـرغم مـن أعبائه أن يقوم بترجمة بعض الكتـب الطبـية إلـى اللغـة العربية ، وأن يراسل العلماء من أحبار اليهود في بغداد .

وكان حسداي يهودياً متعصباً استخدم اتصالاته الدبلوماسية في الحصول على معلومات تخص الجماعات اليهودية المشتتة في أنحاء العالم ، وكان غالباً ما يتدخل لصالحهم ، كلما أمكن ذلك وكان حسداي مهتماً على وجه الخصوص بموضوع اضطهاد اليهود في الإمبراطورية البيزنطية في عهد رومانوس الأول .

قال عنه "ابن أبي أصيبعة"[١٠٤] : " إنه معتن بصناعة الطب ، خدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وكان حسداي بن إسحاق من الأحبار متقدماً في علم شريعتهم ، وهو أول من فتح لأهل الأندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك " .

وكانوا من قبل يضطرون في فقه دينهم وسن تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد ، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ، ومبادئ سنيهم ، فلما اتصل حسداي بالحكم ، ونال عنده نهاية الحظوة توصل به إلى استجلاب ما شاء من تآليف اليهود بالمشرق ، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه . ولقد انتهز حسداي فرصة توليه المفاوضات بين قرطبة وبيزنطة ليتوسط لصالح الشعب اليهودي البيزنطي ، وقد علم بوجود مملكة يهودية لأول مرة من بعض تجار القوافل من خراسان وفارس وشك حسداي في صحة ذلك ، فقام بسؤال أعضاء البعثة الدبلوماسية لبيزنطة التي كانت في قرطبة ، فأكدوا له صحة الخبر ، وقدموا له تفصيلاً عن المملكة الخزرية وملكها يوسف . وعندئذ تلقف حسداي الأخبار ، مقرراً إرسال رسله إلى يوسف ملك الخزر يحملون خطاباً به عدة استفسارات عن دولة الخزر: كشعبها، ونظام حكمها ، وجيشها ، وإلى أي قبيلة (سبط) من القبائل الاثنى عشر ينتمي "يوسف" .[١٠٥]

رسالة حسداي :

بدأ حسداي رسالته ليوسف ملك الخزر بالإشادة بانتصارات يوسف الحربية ، ثم ذكر اسمه "حسداي" بار إسحاق بار عزرا بار شبروط ، تلي ذلك باسم سكرتيره "مناحم بن شاروك" . وواضح أن حسداي كلفه بكتابة الرسالة إلى "يوسف" فكتب اسمه إلى جوار اسم راعيه حسداي .

استهل حسداي الرسالة بالتحيات والعبارات المبجلة ، ثم بدأ يرسم صورة وردية لحالة إسبانيا المسلمة ، وما يتمتع به اليهود من رغد العيش في ظل حكم "عبد الرحمن الناصر" وسمى البلد الذي يعيش فيه بالعبرية "سفراد" بينما أطلق عليه المسلمون الأندلس .

ثم يواصل "حسداي" كلامه ليوضح كيف أنه سمع لأول مرة عن وجود مملكة يهودية من حديثة مع تجار "خراسان" ثم من المبعوثين البيزنطيين ، الذين أكدوا له وجود مملكة يهودية اسمها مملكة "الخزر" ، وأن المسافة بينها وبين القسطنطينية بطريق البحر خمسة عشر يوماً ومن البحر المتوسط إلى الأسود ثم إلى نهر الرون ، ومنه تنقل المراكب براً حتى نهر الفُلجا ، ثم تنزل به لتستكمل الرحلة إلى العاصمة الخزرية إتل ، لكن الطريق البري فيحتوي شعوباً متعددة .

وأما ملك "الخزر" فاسمه "يوسف" وتنقل السفن القادمة من بلادهم السمك والفراء[١٠٦] ، وكافة أنواع السلع ، وهم في تحالف معنا ، ونحن نجلهم ، ونبادلهم السفارات والهدايا ، وهم أشداء ولهم قلعة لمخافرهم الأمامية ، ولجنودهم الذين يخوضون المعارك في غزواتهم بين وقت وآخر .[١٠٧]

وهكذا استفاد "حسداي" معلومات متعددة ومتنوعة عن مملكة "الخزر" من خلال أعضاء البعثة الدبلوماسية البيزنطية ، بل أعطوه معلومات عن العلاقات البيزنطية الخزرية والتي تتسم بالإيجابية .

ثم يشرح "حسداي" محاولاته الأولى للاتصال بالملك "يوسف" ، وكيف أنه أرسل في بادئ الأمر رسولاً يدعى "إسحاق بار ناتان" وزوده بتعليمات للسفر إلى بلاط الخزر ، لكنه لم يتجاوز مدينة القسطنطينية ، ثم مُنع من مواصلة سفره ؛ حتى لا يتم التقارب بين الخزر وقرطبة ؛ فتقع بيزنطة في النصف ، فعاد الرسول خالي الوفاض .

بيد أن "حسداي" لم يتقاعس في اغتنام الفرصة ، فالتقى بالسفارة التي جاءت من شرق أوربا إلى قرطبة ، وكان من بين أفرادها يهوديان هما : "مار صاءول ومار يوسف " ، وتحدث معهما فتطوعا بحمل رسالته إلى الملك "يوسف" .

وبعد أن شرح "حسداي" للملك "يوسف" كيفية كتابة خطابه ، وما بذله من جهد في محاولة إيصاله إليه ، بدأ يوجه عدداً من الأسئلة التي تعكس حرصه الشديد على معرفة كل شيء عن بلاد "الخزر" : من حيث جغرافيتها ، وطقوسها الخاصة بالاحتفال بيوم السبت .(١٠٨)

ثم يقول أحسن بداقع يحفزني على معرفة الحقيقة ، من حيث إذا كان هناك مكان على الأرض ، يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها ، ولا تكون خاضعة لأحد ، فإذا قدر لي معرفة وجود هذا المكان ، لم أتردد في التخلي عن كل ما أتمتع به من مميزات ، تاركاً منصبي وأسرتي مهاجراً مجتازاً الجبال والوهاد خائضاً البر والبحر

حتى أصل إلى الأرض التي يحكمها مولاي الملك اليهودي ، ثم يلتمس "حسداي" من يوسف معرفة الموعد المحتمل لقدوم المسيح المخلص الذي ننتظره طويلة تجوالنا من بلد لآخر ، لأن الذل والهوان لحقنا في شتاتنا ، فلزاماً علينا أن ننصت في صمت لأولئك الذين يقولون لكل شعب أرضه الخاصة وأنتم وحدكم لا تملكون ثمة شبح بلد على هذه الأرض .[١٠٩]

وبتلك الكلمات يعبر "حسداي" عن مرحلة الشتات التي يعيشها اليهود ، ويمني نفسه وغيره من اليهود بالذهاب إلى مكان يجمعهم يكون بالنسبة لهم بمثابة الوطن القومي ليسقط ذلك عنصر المكان عن يهود اليوم فلا أحقية لهم فيه . وكان لابد ليوسف وأن يرد على رسالة "حسداي" .

رد الملك يوسف :

بدأ الملك "يوسف" رده بتحيات حسداي ، ثم قال : إن مملكة "الخزر" دليل واضح على كذب أولئك الذين يزعمون أن صولجان "يهوه" قد سقط إلى الأبد من أيدي اليهود ، تلا ذلك ببيان سلسلة نسب أبناء قومه وأصل سلالتهم ، ورغم كونه يهودياً متعصباً إلا أنه لا يرجع أصله إلى "سام" بن نوح ــ عليه السلام ــ ، بل يرجعه إلى "يافث" الابن الثالث لنوح أو بعبارة أكثر دقة إلى حفيده "جرأة" قائلاً : لقد عثرنا في سجلات الأسرة التي تركها آباؤنا أنه كان لتاجورما عشرة أبناء أسماء ذريتهم هي : أجور ، ودورسو ، وآفار ، وهون ، وبازل ، وتاريناخ ، وخزر ، وزاجور ، وبلغار ، وسابير. وإننا نحن أبناء "خزر" أي الذرية السابعة .[١١٠]

بعد ذلك تحدث "يوسف" عن مجد أسلافه الحربية الذين وصلوا بفتوحاتهم إلى نهر الطوانة ، ثم بعد ذلك يروي قصة اعتناق الملك "بولان" اليهودية فيما يعرف بأسطورة بولان .(١١١)

أسطورة بولان :

يذكر "يوسف" أن الملك "بولان" كان على استعداد لخدمة المولى ، وقد قال : أنت تعرف يا مولاي نوايا قلبي الكامنة ، ولقد فحصت أنت كُليتي لتؤكد أن ثقتي مودعة فيك ، ولكن أفراد الشعب الذين أحكمهم لهم آراء وثنية ولا أعرف ما إذا كانوا سيصدقونني ؟ فإن كنت قد حظيت بعطفكم ، ورحمتكم فإني أتوسل إليكم أن تظهروا أيضاً لأميرهم الكبير كي تحثوه على تأييدي ، وقد استجاب الخالد الأحد لطلب "بولان" وظهر لهذا الأمير في الحلم ، فلما استيقظ الأمير في الصباح جاء إلى الملك ، وأخبره بما حدث . ويلاحظ أن سفر التكوين ، وأغلب الروايات العربية التي أوضحت تهود الخزر ، لم يرد فيها إطلاقاً ما يؤكد فكرة وجود أمير يتعين عليهم الحصول على موافقته ، لكنها بالطبع إشارة واضحة إلى ثنائية الحكم عند "الخزر" ، فالأمير الكبير واضح أنه البك ، وأما الملك فهو الخاقان .(١١٢)

وتواصل رسالة "يوسف" الحديث فتذكر كيف ظهر الملاك مرة أخرى للملك الحالم ، وأمره أن يشيّد مكاناً للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه لأن السماء والسماوات التي تعلوها ليست متسعة إلى حد كاف لتحتويني ، ويجيب الملك بولان في حياء أنه لا يملك الذهب والفضة اللازمين لمشروع كهذا .

فيعيد الملاك طمأنته قائلاً : إن كل ما عليك أن تقوم بقيادة جيوشك إلى "داريبيلا وأردبيل" في أرمينيا ، وسوف تجد في انتظارك

هـناك كـنزاً مـن الفضة وآخر من الذهب ، وتتفق هذه الرواية مع غارة "بولان" أو "بولخان" على مناجم الفضة والذهب في القوقاز .

ويـنفذ بـولان أمـر المـلاك ويعود منتصراً ومعه الغنائم ، فبنى هـيكلاً متـنقلاً "خـيمة" ، وجهـزه بصـندوق مقـدس (تـابوت العهد) ، وشـمعدان ، ومذبـح ، وأدوات مقدسـة حفظـت إلـى اليوم ولا تزال في عهدتي أي عهدة يوسف .[١١٣]

وهكـذا قـص عليـنا الملـك "يوسف" انتماءه إلى حفيد "يافث" بن نـوح علـيه السـلام ، وعـدد مجد أسلافه ، ثم عرج بنا ليروي أسطورة "بـولان" وكـل مؤداهـا تهيـئة فكـر الخزر لتقبلهم لليهودية ، فيذكر أن الارتـداد عـن الوثنـية لصـالح الإله الحق ، وعقب غزو بولان لأرمينيا ذاعـت شـهرته حـتى بلغـت مملكـة "أيـدوم" (بـيزنطة) ، وملك بني إسـماعيل المسـلم يقصـد الخلـيفة ، فأرسـلا إلـيه مبعوثين فوق العادة محمليـن بالهدايـا إلـى جانـب العلمـاء ليهدوه إلى عقائدهما ، لكن الملك كـان حكـيماً حيـث أرسـل فـي طلب يهودي واسع العلم كثير الفطنة ، وجمع الثلاثة معاً لمناقشة تعاليمهم .

وبالـرغم مـن أن "الـبكري" لـم يذكر وجود المسلم كما أسلفنا بل راح ضـحية مؤامـرة الـيهودي ، إلا أن "يوسـف" أكد حوار بولان معهم ، وقـد سـأل المسـيحي أي الديانتيـن الأخريـن أقـرب إلـى الحقيقة ، فأجـاب ديانـة الـيهود ، ثـم واجـه المسلم بنفس السؤال ، وحصل على نفس الإجابة .

وهكـذا فـاز الحـياد لا إلـى هـذا ولا إلـى ذاك ، وتلك خدعة يهودية صورها يوسف منسوبة إلى بولان لاعتناق اليهودية .

ويعدد يوسف مراحل تهويد "بولان" ملك الخزر فيذكر أنه بدأ بطرد السحرة ، وعبدة الأوثان ، قبل ظهور الملاك ، ثم أبرم عهده مع الإله الذي أتاه في الصباح قبل أن يقرر إن كان هو إله اليهود أم المسيحيين أو المسلمين. ثم كان الاعتناق الذي يعد مرحلة وسط ، كان اعتناقاً بدائياً قام على الكتاب المقدس وحده *Bible* دون إدخال التلمود ، والفترة من بولان إلى "عبادية" (٧٤٠ ــ ٨٠٠م) ساد البلاد فيها نوع من مذهب القرائين *Karaism* .

إذن كان تهود الخزر عملية تدريجية أحدثتها ذريعة سياسية ، ثم تغلغلت على مهل إلى الطبقات الأعمق في أذهانهم ، وأنتجت في آخر الأمر المسيحانية (عقيدة المسيح المخلص).[١١٤]

وبعد الإصلاحات التي قام بها "عبادية" ، وأوضحها يوسف في رده يسطر قائمة بخلفائه وهم : [هسكيا ابنه ، ثم إسحاق ابنه ، ثم منسة بن عبادية ، ثم شانوكا شقيق عبادية ، ثم إسحاق ابنه ، ثم منسة ابنه ، ثم وثيس ابنه ، ثم مناحم ابنه ، ثم بنيامين ابنه ، ثم آرون ابنه ، وأخيراً يوسف بن آرون المبارك] . وكلنا أبناء ملوك ، ولم يسمح لغريب أن يتولى عرش آبائنا .[١١٥]

وهكذا رد يوسف على "حسداي" ، وأوضح مراحل تهود الخزر ، وسلسلة الملوك من بولان حتى هو ، وبالطبع يظهر التعصب واضحاً في رد يوسف الذي اعتبر "حسداي" والده ، وليس هناك شك في أن اعتناق "الخزر" لليهودية كان اعتناقاً سياسياً أكثر منه دينياً كما أشرنا في صدر كلامنا .

مصادر أخرى عن تهود الخزر :

إضافة إلى الرسائل المتبادلة بين حسداي بن شبروط ويوسف بن آرون هناك "جنيزة" القاهرة *Cairo Geniza* التي اكتشفها سولومون شيختر *Solomon Schechter* في مخزن معبد يهودي بالقاهرة ، وتحوي خطاباً من مائة سطر ضاع أوله وآخره ، فلم يعرف لمن أرسل ولا من كتبه ، بالإضافة إلى وثائق أخرى. وبالنسبة للخطاب الذي يعرف بوثيقة "كمبردج" ورد فيه اسم الملك "يوسف" ، ولفظ مولاي ، وجاء ذكر بلاد "الخزر" بوصفها بلدنا .

ويستشف من هذا أن الخطاب كتبه أحد كتاب "الخزر" من بلاط يوسف ، وأرسل إلى "حسداي بن شبروط" عن طريق بيزنطة ، فتسلمه مندوب "حسداي" "إسحاق بار ناتان" في القسطنطينية ، ثم أوصله لقرطبة ، وتم نقله إلى القاهرة مع هروب اليهود من إسبانيا. وفيه إشارات عن تهود الخزر. من خلال قصة أسطورية .

كذلك ما كتبه جودا هاليفي *Jehuda Halevi* (١٠٨٥ـ١١٤١م) بوصفه أعظم شاعر عبري أنتجته إسبانيا في مؤلفه "الخزر" بالإضافة إلى الرحالة اليهودي الألماني "بتاليا" *Petachia* الذي زار شرق أوربا وغرب آسيا بين عامي ١١٧٠ ـ ١١٨٥م .[١١٦]

وصفوة القول : فإن الدراسة قد كشفت عن الواقع السياسي لدولة يهود الخزر ، من حيث الموقع الجغرافي ، إذ هاجروا من أواسط آسيا في القرن الأول الميلادي ، واستقروا على مقربة من "بحر قزوين" ، وشيئاً فشيئاً ازدادت رقعة بلادهم ؛ حتى أصبحت في القرن الثامن الميلادي تمتد من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً ،

ومـــن أذربـــيجان وجورجـــيا وأرمينـــية جـــنوباً إلـــى روسيا شمالاً ، كما أوضـــحت الدراســـة تغـــير موقـــع العاصـــمة حســـب الظروف السياسية فكانت "بلانجر" ثم أصبحت "سمندر" ، وأخيراً "إتيل".

كذلـــك أشـــارت الدراســـة إلـــى ظهور الخزر على مسرح التاريخ ، مـــن خـــلال علاقـــتهم بـــالهون والأتراك الغربيين ، ومن خلال الصراع بيـــن الشـــرق والغـــرب الـــذي تمـــثل في الفرس واليونان ثم الرومان ثم البيزنطيين.

كذلـــك أوضـــحت الدراســـة اعتناق الخزر "اليهودية" كدين رسمي ، بالـــرغم مـــن وجـــود الإســـلام والمسيحية ، لكن الملك وخاصته ورجال دولـــته قصـــدوا بهـــذا الاعتـــناق اعتـــناقاً سياسياً أكثر منه دينياً ؛ حتى لا يكونـــوا تابعيـــن للشـــرق الإســـلامي أو الغرب المسيحي ؛ بحثاً عن هوية خاصة بهم.

وبالطـــبع تحفـــزنا هـــذه الدراســـة للتعرف على الواقع الاجتماعي ليهود الخزر.

المحور الثاني

الواقع الاجتماعي لدولة يهود الخزر

أولاً : أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم .

ثانياً : الدراسة الأنثروبولوجية ليهود الخزر .

ثالثاً : رسوم الخزر .

المحور الثاني

الواقع الاجتماعي لدولة يهود الخزر

يتضمن هذا المحور ثلاث نقاط رئيسية ، **الأولى** : تعالج أصل يهود "الخزر" ، واشتقاقات اسمهم ، **والثانية** : تشير إلى الدراسة الأنثروبولوجية *Anthropology*[١١٧] التي تختص بهم ، **والثالثة** : ترصد وتحلل رسوم يهود الخزر. وسوف يتضح ذلك من خلال ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية العربية منها والأجنبية على النحو التالي :

أولاً : أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم

يقول ابن قتيبة[١١٨]: وأما "يافث" فمن ولده الصقالبة ، وبرجان ، والأسبان ، وكانت منازلهم بأرض الروم قبل الروم ، ومن ولده الترك و"الخزر" ، و"يأجوج ومأجوج".

فنسب بذلك ابن قتيبة "الخزر" إلى يافث بن نوح ــ عليه السلام ــ ويزيد "اليعقوبي"[١١٩] الموضوع تفصيلاً فيقول " قسم نوح الأرض بين ولده ، فجعل "لسام"[١٢٠] وسط الأرض والحرم وما حوله ، واليمن ، وحضر موت ، إلى عمان ، إلى البحرين ، إلى عالج ، وبربرين ، ووبار ، والدوّ ، والدهناء. وجعل "لحام" : أرض المغرب والسواحل ، فولد كوش بن حام ، وكنعان بن حام النوبة والزنج والحبشة. ونزل "يافث بن نوح" ما بين المشرق والمغرب ، فولد له جومر ، وتوبل ، وماش ، وماشج ، ومأجوج. فولد "جومر" الصقالبة ، وولد "توبل" برجان ، وولد "ماش" الترك و"الخزر" ، وولد ماشج الأسبان ، وولد مأجوج (يأجوج ومأجوج) ،

وهم في شرقي الأرض من جهة الترك ، وكانت منازل الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم ، فهؤلاء ولد يافث .

وهكذا أكد اليعقوبي رأي ابن قتيبة في نسب الترك والخزر "ليافث بن نوح" ، أو بتعبير أدق إلى "ماش بن يافث" ، كما أشار إلى إعمار الأرض بأبناء نوح.

ثم لم يكتف "اليعقوبي"[١٢١] بما أشرنا ، وإنما يشير إلى ألسن ولد نوح فيقول : " كان في ولد سام تسعة عشر لساناً ، وفي ولد حام ستة عشر لساناً ، فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا إلى فالخ بن عابر فقال لهم : إنه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق ألسنتكم ، فقالوا : اقسموا الأرض بيننا ، فقسم لهم فصار لولد يافث بن نوح الصين ، والهند ، والسند ، والترك ، والخزر ، والتبت ، والبلغر ، والديلم ، وما والى أرض خراسان ، وكان ملك بني يافث في ذلك الزمان "جم شاد" . وصار لولد حام أرض المغرب وما وراء الفرات إلى مسقط الشمس ، وصار لولد سام الحجاز واليمن وباقي الأرض".

وهكذا أشار اليعقوبي لتعدد ألسن أتباع أولاد نوح عليه السلام ، كما أشار إلى اسم ملك بني يافث آنذاك ، ومن المرجح أنه ملك الخزر ، لأن الكرديزي[١٢٢] ذكره تقريباً حين قال عن الخزر : " ولهم ملك عظيم يسمى الشاد " .

وفي نفس الموضوع يقول الطبري[١٢٣] : " فلما هبط نوح وذريته وكل من كان في السفينة إلى الأرض ، قسم الأرض بين ولده أثلاثاً ، فجعل لسام وسطاً من الأرض ففيها بيت المقدس ، والنيل ، والفرات ، ودجلة ، وسيحان ، وجيحان ، وفيشون ، وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر

الشمال ، وجعل لحام قسمه غرب النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الصبا". أي قسم من أرض يافث في ريح الصبا (ريح الشمال) ، وكثيراً ما كانت تسمى أرض الخزر أرض الشمال.

لم يتوقف "الطبري"[١٢٤] عند كلامه على تقسيم الأرض بين ولد "نوح" ، بل لمس جانباً " أنثروبولوجياً *Anthropology* " لأتباع أبناء نوح ، حيث قال : " وُلد لنوح سام ، وفي ولده بياض وأدمة ، وحسام ، وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشقرة والحمرة " فكانت الشقرة والحمرة من نصيب أتباع يافث بن نوح .

ويقول "الكرديزي"[١٢٥] تحت عنوان "أحوال وأنساب الترك": "قال عبد الله بن خرداذبة في كتابه الأخبار إن الترك من جملة الصينيين ، وقال أبو عمرو عبد الله بن المقفع في كتابه ربع الدنيا : حينما خرج نوح عليه السلام من السفينة كانت الدنيا خالية من الناس ، وكان له ثلاثة أبناء سام وحام ويافث ، فقسم الدنيا على أبنائه : فأعطى لحام أرض السواد وديارها برها وبحرها وجزائرها مثل الزنج والحبشة ، والنوبة ، والبربر ، وجاءت العراق ، وخراسان ، والحجاز ، واليمن ، والشام ، وأيرانشهر من نصيب سام ، ووصلت الترك وسقلاب ، ويأجوج ومأجوج حتى الصين إلى يافث " .

ويذكر "الكرديزي"[١٢٦] أيضاً أن نوح عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يعلم "يافث" اسماً حينما يتلوه تسقط الأمطار ، فاستجاب الله عز وجل دعاءه ، وحينما تعلم "يافث" هذا الاسم كتبه على حجر وعلقه في رقبته احتياطياً حتى لا ينساه ، وكل وقت كان يطلب الأمطار بهذا الاسم كانت الأمطار تتساقط ، وإذا ضرب هذا الحجر في الماء ، وأعطي ذاك الماء لمريض شفي ، وكان أبناء

"يافث" يتملكون هذا الحجر بالميراث ، حتى كثر نسله مثل أبغر ، والخلخ ، والخزر وأمثالهم ، فدب الخلاف بينهم بسبب ذلك الحجر " .

ويستفاد من هذا النص أن الترك كانوا من جملة الصينيين ، كما كانوا من نصيب "يافث" ، ولكون الخزر فرع منهم فينسب الخزر بالطبع إلى "يافث" ، ويتأكد ذلك من قول الكرديزي : " وكان أبناء يافث يتملكون هذا الحجر بالميراث حتى كثر نسله مثل أبغر والخلخ والخزر".

ويقول "المسعودي"[١٢٧] : " ولما ولد يافث بن نوح فقال أصحاب التاريخ إن جميع اللغات اثنان وسبعون لغة منها سبع وثلاثون في ولد "يافث" ، وثلاث وعشرون في ولد حام ، واثنا عشرة في ولد سام ، فذكروا أن ولد يافث من ظهره سبعة وثلاثون لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله . وكان في قسم ولد "يافث" أرمينية وما جاورها إلى الأبواء فمنهم الأسبان ، والروس ، والبرجان ، والخزر ، والترك ، والصقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وفارس ، ومزنان ، وأصحاب جزائر البحر والصين ، والبلغار ، وأمم لا تحصى .

وعند حديثه عن مملكة البرجان قال : " وأما البرجان فهم من ولد "يونان بن يافث" ، وهي مملكة كبيرة واسعة ، وهم يحاربون الروم ، والصقالبة ، والخزر ، والترك ، وأشد الأمم حرباً لهم الروم .

وعند حديثه أيضاً عن مملكة الترك قال : " ولما الترك فهم ولد يافث بن نوح عليه السلام ، وهم أجناس كثيرة ، وهم أصحاب

مـدن وحصـون ، ومـنهم قـوم فـي رؤوس الجبال ، والبراري في خيم اللبود".

وعـند حديـثه عـن ملـوك الصـين والـترك يقول : " قد تنازع الـناس فـي أنسـاب أهـل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم أن ولد غابور بـن سـوبيل بـن يافـث بـن نوح " لما قسم فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سـام بـن نـوح الأرض بيـن ولـد نوح ساروا يسرة في الشرق ، فسار قـوم مـنهم مـن ولـد أرعـو على سمت الشمال ، وانتشروا في الأرض فصـاروا عـدة ممـالك : مـنهم الديلـم ، والجيل ، والطيلسان ، والتتر ، وفـرغان. فـأهل جـبل القـبق مـن أنـواع اللكـز ثـم اللان والخزر ، والأنجـاد ، والسـرير ، وكشـك ، وسـائر تلـك الأمم المنتشرة في ذلك الصـقع إلـى بـلاد طوابـريدة إلـى بحـر مـانطس ، وبحر الخزر إلى البرغز ومن اتصل بهم من الأمم .

وهكـذا وافـق المسـعودي كـل مـن ابـن قتيـبة ، واليعقوبي ، والطـبري ، والكرديـزي رأيهـم فـي نسـب "الخزر" إلى يافث بن نوح علـيه السـلام ، وإن كـان اليعقوبي قد أرجع "الخزر" إلى "ماش بن يافث بـن نـوح" ، فـإن المسعودي أرجعهم إلى ولد عابور بن سوبيل بن يافث .

بـيد أن ابـن الأثـير[١٢٨] يقـول : " وأما يافث فمن ولده جامر ، وموعـع ، ومـورك ، وبـوان ، وفويـا ، وماشـج ، وتيرش ، فمن ولد جامـر ، ملـوك فـارس فـي قـول : ومن ولد تيرش "الترك والخزر" ، ومـن ولـد ماشـج (الأسبان) ، ومن ولد موعع (يأجوج ومأجوج) ، ومن ولـد بـوان (الصـقالبة وبـرجان) ، ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح .

وعلى ذلك يكون ابن الأثير قد اتفق مع كل من ذكرنا من قبل في نسب "الخزر" ليافث بن نوح ، لكنه خالف كلاً من اليعقوبي والمسعودي في نسبة "الخزر" إلى أحد أبناء يافث ، ففي الوقت الذي جعلهم اليعقوبي لماش بن يافث ، والمسعودي لولد عابور بن سوبيل بن يافث ، جعلهم ابن الأثير لتيرش بن يافث .

ونختتم هذه المصادر "بابن العبري"[١٢٩] حيث قال : " ولبني يافث الجربيا أي الشمال (الأندلس والإفرنجة) ، وبلاد اليونانيين والصقالبة ، والبلغار ، والأرمن" .

وإن لم يصرح ابن العبري باسم الخزر ، فإنه يفهم من كلامه أنهم ضمناً بين أمة الترك ، أي يرجعون في أصلهم قياساً على ما سبق ليافث بن نوح .

وصفوة القول : فإن المصادر العربية المتنوعة التي أوردناها اتفقت جميعها على حقيقة مهمة وهي انتماء يهود "الخزر" في أصلهم إلى يافث بن نوح عليه السلام ، لا إلى سام بن نوح ، وبذلك ينتفي كلية ارتباطهم "بسام" ، ولأن أكثر من ٩٠% من يهود اليوم يرجعون في أصولهم إلى "الخزر" فيكون الارتباط المزعوم بين دولة إسرائيل الحالية ، وبين سام بن نوح والسامية ضرباً من الخيال يعوزه السند والدليل .

وقد أيدت الدراسات الحديثة هذه الحقيقة ، إذ قالت الدكتورة عائشة راتب[١٣٠] : " اليهود الذين وجدوا خارج فلسطين سواء في العصور القديمة ، أو الحديثة لا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدامى إلا في القليل النادر ، بعد المذابح التي تعرض لها يهود فلسطين على أيدي الرومان ، والكثرة الغالبة منهم تنتمي إلى أجناس غير سامية

اعتنقت اليهودية في فترات مختلفة في التاريخ ، فأكبر طائفة يهودية في العالم حالياً هم الإشكيناز الذين يتكلمون لغة اليديش *Yeddish* وهم يهود شرق أوربا ووسطها وهم أحفاد الخزر" .

وقال "كيستلر"[١٣١] : " أكد القراءون *Karaites* (أفراد مذهب يهودي أصولي) الناطقون بالتركية من أبناء القرم ، وبولندة ، وأماكن أخرى ، وجود علاقة بينهم وبين "الخزر" وهي علاقة يعززها الدليل المنبثق من الفلكلور والأنثروبولوجيا ، وكذلك اللغة ، وهناك فيما يبدو قدر ضخم من الأدلة التي تثبت الوجود المسفر لسلالة الخزر في أوربا".

فالأستاذ أ. ن. بولياك أستاذ تاريخ اليهود في العصور الوسطى بجامعة تل أبيب ، يرجع أصول الشعب اليهودي إلى الخزر ، وقد شرح ذلك في كتابه "خزارياً" الذي نشره بالعبرية عام ١٩٤٤م ، وقرر في مقدمته اعتبار الشعب اليهودي الخزري نواة لمستوطنة اليهود الكبرى في شرق أوربا وقال : " إن اليهود الذين بقوا في أوربا ، وأولئك الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكذلك الذين توجهوا إلى إسرائيل كل هؤلاء يؤلفون غالبية يهود العالم في الوقت الحاضر ، وهم من أصل خزري".

وبالتالي لم يكن أجدادهم قد أتوا من الأردن بل من نهر الفولجا ، أجل لم يجيئوا من أرض كنعان بل من القوقاز ، وهم من حيث التركيب الوراثي أقرب إلى قبائل الهون والآجور *Vigur* ، والماجيار *Magyar* منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب .

وذكر "كيستلر"[١٣٢] أن يهود عصرنا الحالي ينقسمون قسمين السفرديم ، والإشكيناز ، والنوع الأول سلالة اليهود الذين عاشوا في

إسبانيا وسموا بالعبرية سفاراد ، حتى طردوا منها في نهاية القرن الخامس عشر واستقروا في البلاد المطلة على البحر المتوسط ، وتكلموا لغة إسبانية عرفت بـ "لادينو" وقدر عددهم عام ١٩٦٠م حوالي خمسة آلاف شخص. بينما بلغ عدد النوع الثاني في الفترة نفسها حوالي أحد عشر مليوناً ، وعليه فإن لفظ يهودي في العصر الحاضر مرادف لليهود الإشكينازي ، ويجب التنويه على أن إشكينازي الكتاب المقدس شعب يعيش في مكان قريب من جبل أراراط في أرمينية ، ويرد الاسم في سفر التكوين[١٣٣] ، وفي سفر أخبار الأيام الأول[١٣٤] ، بوصفه أحد أبناء "جومر بن يافث" ؛ ثم إشكينازي أيضاً هو أخو "توجارما" ، وابن أخ مأجوج الذي ادعى الخزر طبقاً لما ذكره ملكهم يوسف أنه جدهم الأعلى.

وجاء في مقال على شبكة النت ما يلي : " الحقائق التاريخية تقول إن إسرائيل ١٩٤٨م لا علاقة لها من قريب أو بعيد بيهود بني إسرائيل ، وإن صهاينة اليوم الذين خرجوا على العالم بافتعال دولة لهم في فلسطين بناء على قرارات الأمم المتحدة ، لا علاقة لهم ببني إسرائيل من قريب أو بعيد ".[١٣٥]

ويقول موقع شان : " توجهت الصهيونية كحركة ولدت إشكينازية "خزرية" لحل مشاكل الإشكيناز "الخزر" لذلك كانت الهجرات الأولى إشكينازية خزرية صافية ".[١٣٦]

ويقول موقع آخر : " قال العالم الأمريكي (رونالد ديكسون) أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد في كتاب له بعنوان " جنس الإنسان وتاريخه" : " إن بلاد الأناضول وأرمينيا والقنقاس وأواسط آسيا هي المهد الأصلي للأكثرية العظمى لليهود المعاصرين في العالم

وأنهم ليسوا ساميين ".[١٣٧] وفي الموقع نفسه يقول "يوجين بيتار" أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة جنيف : " إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس السامي ".[١٣٨]

وهكذا أجمعت المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، وكذلك بعض المواقع العلمية من خلال شبكة النت ، على أن يهود "الخزر" ينتسبون في أصلهم إلى "يافث بن نوح" عليه السلام ، وليس إلى سام ، وأنهم هم الذين شكلوا غالبية يهود العالم اليوم ، وأن دولة إسرائيل ما هي إلا جزءًا منهم ، ولعل خير تأكيد لذلك موقف "مناحم بيجن" رئيس وزراء إسرائيل الأسبق عندما وقعت بين يديه نسخة من كتاب "آرثر كيستلر" "القبيلة الثالثة عشرة" حين قال : " فليقولوا إننا خزر أو أي شيء آخر نحن هنا موجودون بقوتنا "[١٣٩] فلم ينف بيجن نسبه للخزر بل أثبته .

اشتقاقات اسم الخزر اصطلاحاً :

يذكر "دنلوب"[١٤٠] أن كلمة *Kazar* الألمانية تعني هرطقي ، وقد اشتقت من اسم الخزر باعتبار أنهم يهود ، كما يذكر أن كلمة "الخزر" مشتقة من جذر الفعل التركي "قز" بمعنى يتجول أو يتبدى .

وعلى ذلك يكون "الخزر" هم البداة ، مع أن الفعل التركي *Quzmak* يستعمل دوماً بمعنى يجدف ، وليس يتجول ، وهذا يعني أن اسم "الخزر" يمكن أن يكتب ويفسر بأشكال ومعان متباينة مثل : *Quz_er* ، و *Quz_ar* ، و *Quzar* أو *Qozar* المشتقة من الجزر *Quz* بمعنى طرف الجبل المواجهة للشمال ، فإذا زدنا عليها حروف *eri* أو *er* لأصبح المعنى شعب الشمال .

وفـــي لغـــات أرمينـــية القديمـــة ، ولغة جورجيا غالباً ما يشار إلى خاقان الخزر باسم ملك الشمال ، وخزارياً باسم الشمال .

ويضـــيف "دنلـــوب" أيضـــاً أن اللغـــات الســـلافية بها عدة أشكال لكلمـــة "خـــزر" فـــيها حـــرف "O" الصـــوتي في الشطر الأول من الكلمة *Khazar* ، وينقلـــنا هـــذا بالطـــبع إلـــى اشـــتقاقات أخرى من كلمة *Koza* الروســـية ، ومعـــناها ذيـــل الخـــنزير ، ومـــن جذر كلمة *Koz* في العديد من الكلمات السلافية بمعنى الماعز .

وفـــي اللغـــة العـــبرية تكتـــب الكلمة بشكل عام مع حرف *O _ U* الصـــوتي ، ويلفـــظ كـــوزا ي *Kuzari* ، وكـــزر أو خزر *Kuzarium* ، ومـــنه جـــاءت كلمـــة *Cozri* التـــي اســـتخدمها *Baxtrof* وجمعها كوزاريم *Kozrim*، وفـــي الإغريقـــية تكتـــب كلمـــة خـــزاروي *Khozaroi* " *Khazareis*"، وأحـــياناً خوتزيـــر *Khotzer* ، وفـــي اللاتينـــية تكتـــب تشازاري *Chazari* وغازاري *Gazari* .[١٤١]

وتنبقـــي الإشـــارة إلـــى أن "الخـــزر" قـــد عـــرفوا بأسماء وأشكال مـــتعددة، فعـــند كُـــتاب العصـــور الوســـطى عـــرفوا باســـم "خوزارس" *Chozars*، وخازيـــرس *Khazirs* وأكاتزيـــرس *Akatzars* ، وأكاتـــيرس *Akatirs* . أمـــا فـــي الحولـــيات الروســـية فقـــد عـــرفوا باســـم *Khwalissesugry* . هـــذا وقـــد عـــرف الخـــزر في المصادر الجورجيانية باســـم "كادزاريـــا" *Kadzaria* ، وهـــو الاســـم الجيورجانـــي لمنجريلـــيا *Mingrelia* ، وفي الصينية كوسا *Kosa* .

علـــى أن الســـتاريخ الروســـي يســـمي "الخـــزر" الأغـــوز البيض *White Ugrian* ، علـــى النقـــيض مـــن الهنغاريـــين الذيـــن يطلقون عليه

الأغـوز السـود. والمـؤرخ الأرمنـي موسـى خورنـي يذكـرهم باسم *Khazris*.[١٤٢]

المعنى اللغوي لاسم الخزر :

يقـول "ابـن مـنظور" الخـزر بالتحريك كسر العين بصرها خلقة ، وقـيل هـو ضـيق العين بصرها ، وقيل : هو النظر الذي كأنه في أحد الشـقين ، وقـيل هـو أن يفـتح عينه ويغمضها ، وقيل : الخزر هو حول إحـدى العينيـن ... وقـيل الأخـزر الـذي أقبلـت حدقـتاه إلـى أنفـه ... ، وتخـازر نظـر بمؤخر عينه ، والتخازر استعمال الخزر علـى مـا اسـتعمله سـيبويه في بعض قوانين تفاعل فقال : إذا تخازرت ومـا بـي مـن خـزر ... وتخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليمدد النظر ... والخزر جيل خزر العيون.[١٤٣]

أمـا "ابـن فـارس" فـيقول : الخزر : هو ضيق العين وصغرها، يقـال رجـل أخـزر ، وامـرأة خزراء ؛ وتخازر الرجل ، إذا قبض جفنه ليمدد النظر قال : إذا تخازرت وما بي من خزر.[١٤٤]

ويضـيف "ابـن سـيدة" الخـزر انقـلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول . وقد خزرته خزراً ... والأخزر الأحول إحدى العينين.[١٤٥]

ومـن هـذه الـرؤى لكـل مـن ابن منظور ، وابن فارس ، وابن سـيدة يمكـن القـول : إن الخـزر لغويـاً يعنـي ضيق العين لزيادة حدة رؤيتها.

ويقـول "الزمخشـري": " رجـل أخـزر يـنظر بمؤخـرة عينه ، وقـيل: هـو الـذي ضـاقت عينه وصغرت ، وامرأة خزراء ، وقوم خزر وهم إلينا خزر العيون .

قال الأخطل :

خزر العيون إلى رماح بعدما

جعلت لضيه بالرماح خلالا

وقال وإنني أرى عيوناً خزراً

وإنـــهم ليطـــلبون وتـــــراً

وبه سمي الخزر وهم جيل من الترك .[١٤٦]

ويقـــول "يـــاقوت"[١٤٧] : خزر بالتحريك وآخره راء هو انقلاب في الحدقـــة نحو اللحاظ ، وهو أقبح الحال ، وقال في كتاب العين : الخزر جيل خزر العيون ... وقال دعبل بن علي يمدح آل علي رضي الله عنه .

وليس حي من الأحياء نعرفه

من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شـــركاء في دمـــائهم

كما تشارك أيســـــار على جزر

قتل وأســـر وتحريض ومنهبة

فعل الغزاة بأهل الروم والخـــزر

ثانياً : الدراسة الأنثروبولوجية *Anthropology* ليهود الخزر :

ذكر "كيستلر"[١٤٨] نقلاً عن "باتال" قوله : " لقد أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه ليس هناك جنس يهودي ، حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعة من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافاً بيناً في كل الخصائص الجسدية الهامة (القامة ـ الوزن ـ لون البشرة ـ الدليل الرأسي ـ الدليل الوجهي ـ فصائل الدم) ".

ويقول : " الواقع أن هذا هو الرأي الذي يسلم به اليوم علماء الأجناس ، والمؤرخون ، وفضلاً عن ذلك هناك اتفاق عام على أن مقارنات مقاييس الجماجم ، وفحوص فصائل الدم تدل على أن هناك بين اليهود وأهل البلاد التي استضافتهم تشابهاً يفوق ذلك الذي بين اليهود أنفسهم ، الذين يعيشون في بلاد مختلفة.

وليس هناك من شك فإن هجرات اليهود المتواصلة وعلاقتهم مع الأمم والشعوب ، سواء كانت قهرية أم اختيارية ، أنتجت جنساً مهجناً لا يمكن تعميمه على اليهود فمثلاً : لا يمكن مقارنة يهودي "روتردام" المتشح بالحمرة ، الضخم البنية ، بمثيله في العقيدة يهودي "سالونيك" بعيون ذات الومضات الخاطفة ، ووجهه الشاحب ، وجسمه الهزيل ، وبنيته العصبية المزاج .

وبناء على ذلك يمكن الجزم بأن اليهود يتسمون بدرجة كبيرة من التباين المورفولوجي *Morphology*[١٤٩] بين أنفسهم ، كالذي يمكن وجوده بين جنسين مختلفين.

والدليل على ذلك أن جميع يهود أوربا هم أصغر من الحجم العادي ، وقد ذكر "ربلي" *Ripley* أن القصر في القامة مرده الـ

العوامل البيئية ، وبعد مرور إحدى عشرة سنة على رأيه قام "موريس فيشبرج" بعمل دراسة تعد أول مسح أنثروبولوجي كشف من خلالها عن حقيقة مهمة ، وهي أن طول الأطفال المهاجرين من شرق أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، بلغ في المتوسط ١٦٧,٩سم بينما كان متوسط طول آبائهم ١٦٤,٢سم بزيادة قدرها ٢,٧سم في جيل واحد ، وهذا يعني أن العوامل البيئية والحياة المعيشية لها تأثير على الأجسام مما يؤيد رأي ربلي.(١٥٠)

ويزيد "فيشبرج" الموقف وضوحاً فيقول بعد عمل إحصائية مقارنة الأطوال في كل من بولندة ، والنمسا ، ورومانيا ، والمجر وغيرها ، بين قامة اليهود وقامت الأمميين *Gentiles* ، إن قامت اليهود اختلفت عن قامة السكان الأمميين الذين يعيشون بينهم ، بمعنى أنهم كانوا طوالاً نسبياً حيث كان السكان الأصليين طوالاً ، والعكس بالعكس. وفضلاً عن ذلك فقد تبين أنه داخل الشعب نفسه ، بل في داخل المدينة نفسها (وارسو) ، يختلف طول قامة اليهود وسائر المواطنين ، بالنسبة لدرجة ازدهار الحي الذي يعيشون فيه".(١٥١)

يؤيد ذلك الدكتور جمال حمدان بقوله : " إن القامة صفة جسمية مرنة مطاطة تتكيف بالبيئة الطبيعية والاجتماعية ، بالصحة والتغذية ، وإنها صفة مكتسبة وظاهرة اجتماعية مثلما هي أو أكثر مما هي وراثية جامدة ، وأغلب الظن أن قصر قامة اليهودي هو وليد الجيتو *Ghetto* وحياة التوتر والخوف من الاضطهاد ، كما أن من المعتقد أن تفشي عادة الزواج المبكر جداً بين اليهود حتى وقت قريب كانت مسئولة عن نوع من الانحطاط الجسمي انعكس على القامة ، أما حين وحيث تزول هذه الظروف البيئية فإن قامة اليهودي تنطلق

لتقترب من قامة الجنتيل كما في حي الوست إند الراقي بلندن ، وكما حدث حديثاً في الولايات المتحدة ".[١٥٢]

وهكذا وافق الدكتور جمال حمدان كلاً من "ربلي ، وفيشبرج" رأيهما في مدى تأثير البيئة الاجتماعية على اليهود أكثر من تأثير العوامل الوراثية ، بل تأثير مستوى المعيشة على اقتراب الطول بين اليهودي والجنيتل حتى على مستوى الأحياء السكانية .

وإذا كان هناك ثمة اختلافات في محيط الصدر ، وسعة الرئتين لصالح الأمميين (الجنيتل) ، عن يهود العزلة (الجيتو) ، فإن مرد ذلك إلى طبيعة نمط الحياة والبيئة إلى جانب نوع الحرفة " فالحرفة الداخلية التي فرضتها الجيتو على اليهودي ، لاسيما الحرف اليهودية التقليدية كالخياطة ، والصواغة ، وصناعة الأحذية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الظاهرة ، التي تماثل القامة في عدم كونها صفة جنسية وراثية أصلية ، بل صفة متغيرة تبعاً لتحسن الأحوال البيئية والمعيشية ، فطالما تحقق ذلك اختفت تلك الظاهرة".[١٥٣]

وإذا تركنا الطول وبعض الحرف ، واتجهنا إلى قياسات الجماجم ، لتبينا وجود تشابهاً ملموساً بين جماجم اليهود ، ومثيلاتها الوطنية ، في حين يظهر الاختلاف واضحاً بين جماجم اليهود فيما بينهم في بقاع مختلفة ، ولنأخذ مثلاً : يهود السفرديم ، ويهود الإشكيناز ، فالسفرديم لهم رءوس طويلة ، أما الإشكيناز فرءوسهم عريضة ، وقد استنتج "كونتشيرا" من هذا الاختلاف أن الأصل الجنسي لليهود الخزر الإشكيناز مستقل عن أصل اليهود السفرديم. وهذا يؤكد ما طرحناه سابقاً في أصل يهود الخزر ونسبهم إلى يافث وليس إلى سام[١٥٤] ، وبالطبع يؤيد هذا ما جاء في سفر التكوين

"وهـذه مواليـد بنـي نـوح : سـام وحـام ويافـث ، وولد لهم بنون بعد الطوفـان ، بـنو يافـث : جومر ومأجوج ، وماداي ، وياوان ، وتوبال ، وماشك ، وتيراس ، وبنو جومر إشكيناز وريفاث ، وتوجرمة.(١٥٥)

وهـناك أيضـاً سـمات جسـدية تنفـي عـن اليهود وحدة الجنس فمـثلاً : مـع تمـيز الـيهود بشعر داكن وعيون داكنة فإن "كوماس" يقرر أن ٤٩% مـن يهـود بولـندة كـان شـعرهم فـاتح اللون ، و ٤٥% من أطفـال الـيهود فـي مدينـة النمسـا كانوا شقراً *Aufous* على حين كانت نسبة الشقر بين أطفال غير اليهود أكبر من ذلك.(١٥٦)

وربمـا يُشـاكل هـذا ما ذكره "ابن سعيد" عن يهود الخزر إذ قال "أمـا عـن الخـزر" الذين ينزلون في شمال الأرض المأهولة قرب الإقليم السـابع ، وبلادهـم مطـيرة . لذلك فإن بشرتهم بيضاء ، وعيونهم زرقاء ، وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة في الغالب" .(١٥٧)

وإذا انتقلـنا إلـى الأنـف ، فالأقنى المحدب الذي ألصق باليهود ، وأشـاعه رسـامو الكاريكاتـير ، حـتى صـار علمـاً ، فليس في الحقيقة صـفة يهوديـة ، إذ الملاحظـات الأنثروبولوجـية تثبـت أولاً : أنه ليس منتشـراً بيـن الـيهود بدرجة خاصة ، أو غير عادية. وثانياً : أنه منتشر بيـن غـير الـيهود بـلا حدود. ففي بولندة لم تزد نسبة حدوثه بين اليهود عـن ٩% مـن العينـات التـي أجـري البحـث عليها ، وهي نفس نسبة البولنديين. لكـن الأنـف المسـتطيلة هي الأكثر شيوعاً بين اليهود فمثلاً أنـوف يهـود اليمـن تصـل إلـى ٦٠% في العينة ، بل وهناك نسبة من الأنـف المقعـر. وفـي إشـكيناز أوربـا تسـجل البـيانات سيادة الأنف المسـتقيم فـي حيـن يقـل الأنـف المحدب عن النصف ، بل يكثر المقعر في يهود روسيا.

ومن ناحية أخرى فالأنف الأقني المحدب شائع بوفرة بين غير اليهود وجد بين ثلثي العينة في جنوب شرق بولندا ، وهو منتشر كثيراً بين العرب والأفغانيين وكثير من الأوربيين. وبهذا لا يمكن اتخاذ الأنف اليهودي كدلالة خاصة ، وإنما هو تشكل أو تشوه خاص يشمل انخفاض أو تدني طرف الأنف مع ارتفاع جناحي المنخرين حتى ليبدوان معلقين على الوجنتين ، مما يؤدي إلى ظهور قصبة الأنف مرئية بوضوح ، والظاهرة كلها تسمى بالمنخر *Nostrility*.(١٥٨)

يبقى ما يقال عن السحنة اليهودية ، فهي ليست دلالة أو صفة عامة على اليهود ، وإن وجدت عند بعض الإشكيناز في أوربا ، فهي لا تكاد توجد عند إشكيناز أمريكا ، كما أنها ليست معروفة عند غير اليهود ، ومن ثم فهي كثيراً ما تخدع العين فيأخذ غير اليهودي على أنه يهودي ، ويعرف اليهودي على أنه غير يهودي .

والأهم أن سحنة الوجه ليست صفة جسمانية بقدر ما هي تعبير اجتماعي مكتسب من البيئة الاجتماعية صنعها "الجيتو" ولم تصنعها الوراثة أو البيولوجيا .(١٥٩)

تلك إذن مجموعة من الصفات الجسمية المنسوبة إلى اليهود أو الملاحظة فيهم ، لا تدل على الأصل العرقي ولا تحسم مشكلة ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على انعدام أية وحدة بين يهود العالم في تلك الصفات.

وتأتي فصيلة الدم كأقوى دليل على أن اليهود لا يمثلون جنساً نقياً ، فيقول "باتاي" : " تظهر جماعات اليهود فيما بينها اختلافات كبيرة في فصائل الدم بينما تكون أوجه الشبه ملموسة مع أبناء بيئتها غير اليهود ، ويتضح ذلك من الجدول الآتي :

البلد	اليهود	غير اليهود
ألمان	٢,٧٤	٢,٦٣
رومانيون	١,٥٤	١,٥٥
بولنديون	١,٩٤	١,٥٥
مغاربة	١,٦٣	١,٨٣
عراقيون	١,٢٢	١,٣٧
تركستانيون	٠,٩٧	٠,٩٩

وهكذا أوضح الجدول مدى التقارب الكبير في تشابه فصائل الدم بين اليهود ، والسكان الوطنيين الذين يعيشون بينهم ، ويمكن تلخيص ذلك في صيغتين رياضيتين :

١. غ أ ـ ى أ > ى أ ـ ى ب

٢. غ أ ـ غ ب = ى أ ـ ى ب

أي أن المعيار الأنثروبولوجي بين غير اليهودي "غ" ، واليهودي "ى" في بلد معين " أ " هو أقل من الاختلاف بين اليهودي "ى" في بلاد مختلفة أ ، ب . وأن الاختلاف بين غير اليهودي "غ" في البلاد أ ، ب يشبه الاختلاف بين اليهودي "ى" في أماكن مختلفة أ ، ب .(١٦٠)

وعلى ضوء ذلك فإن الاختلاف الواضح بين اليهود في الأقطار المختلفة من حيث الخصائص الجسمية وتنوع ترددات جينات فصائل الدم ، تجعل أي تصنيف جنسي موحد لهم أمراً متناقضاً .

والتساؤل المهم بعد هذه الدراسة هو هل لليهود حق في فلسطين أم أنها أرض غريبة بالنسبة ليهم ؟ وهل هم حقاً جنس نقي

تغـير بمؤثـرات بيئـية فحسب ، أم طائفة دينية مؤلفة من عناصر عرقية اكتسبت بالـتحول مـن ديـن لآخر ، وبالاختلاط والتزاوج أثناء نزوحهم إلـى مخـتلف أنحـاء العـالم صـفاتهم التي ألمحنا إليها ؟ وسوف نلتمس الإجابة من توراتهم ، ومن واقع التاريخ .

فلسطين أرض غربة الآباء الجوالين *The wanderings of patriarchs*:

كانـت فلسـطين أرض غـربة بالنسبة لسيدنا (إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقـوب) علـيهم السـلام ، فقـد جـاء فـي "سـفر التكوين" أن سيدنا إبراهـيم تـرك حـاران وانـتقل " مـن هناك إلى أرض الجنوب ، وسكن بيـن قـادش وشـور ، وتغـرب فـي جـرار ، وقـال إبراهيم عن سارة امـرأته هـي أختـي .... فأرسـل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلـى أبـيمالك فـي حلـم وقال له .... فإنها متزوجة ببعل ... فقال يا سيد ... ألـم يقـل هـو لي : إنها أختي ، وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي ... فقـال لـه الله فـي الحلم ... فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي ... فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وإماءً ، وأعطاها لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته ".[١٦١]

وهكـذا كانـت فلسـطين بـنص الـتوراة أرض غـربة لسـيدنا إبراهـيم علـيه السـلام ، وكـان الفلسـطينيون يحكمـون بها ، بل كانت يدهـم هـي العلـيا ، كمـا ظهـر في الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام ، والملك أبيمالك بشأن السيدة سارة .

وكمـا كانـت فلسـطين أرض غـربة بالنسبة لسيدنا إبراهيم كانت كذلـك لولـده إسـحاق ، حيث نزح هو الآخر إلى نفس المدينة الفلسطينية عـندما أصـابت الأرض مجاعـة . " وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الـذي كـان فـي أيـام إبراهـيم ، فذهـب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسـطينيين بجـرار ، وظهـر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر ، اسكن

في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ".(١٦٢)

وبالتالي كانت أرض فلسطين دار غربة لكل من سيدنا إبراهيم وولده إسحاق عليهما السلام .

فإذا انتقلنا إلى "يعقوب" عليه السلام لرأينا سفر التكوين يقول : "وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان"(١٦٣) ، وعلى هذا تكون أرض فلسطين "أرض كنعان" هيّ دار الغربة لكل من سيدنا إبراهيم ، وابنه إسحاق ، وحفيده يعقوب عليهم السلام .

من غربة فلسطين إلى غربة مصر :

كانت مصر هي الغربة الثانية بعد فلسطين لبني إسرائيل إذ "ارتحل إسرائيل ، وكل ما كان له ، وأتى إلى بئر سبع ، وذبح ذبائح لأبيه إسحاق ، فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال "يعقوبُ يعقوب" فقال : هاأنذا ، فقال : أنا الله " إله أبيك ، لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر ... فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم ، وأولادهم ، ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم وكل مقتناهم التي اقتنوا في أرض كنعان ، وجاءوا إلى مصر ، يعقوب وكل نسله معه بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه ، وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر ".(١٦٤)

وهكذا جاء "يعقوب" إلى مصر دار غربته الثانية ومعه أبناءه من زوجاته (ليئة ، وزلفة ، وراحيل ، وبلهة) فمن ليئة بنت لابان (رأوبين وبنيه الثلاثة ، وشمعون وبنيه الستة والذي كان منهم شأول ابن الكنعانية ، ولاوي وبنيه الثلاثة ، ويهوذا وبنيه وبني بنيه وكلهم

خمسة ، ويساكر وبنيه الأربعة ، وزبولون وبنيه الثلاثة). وقد ولدوا في فدان أرام مع دينة ابنته وعددهم ثلاث وثلاثون. ومن "زلفة" صفية ليئة (جاد وبنيه ، وأشير وبنيه) وعددهم ست عشرة نفساً ، ومن "راحيل" (يوسف وبنيامين) ومنهما أربعة عشرة ، ومن "بلهة" صفية راحيل (دان وبنيه ، ونفتالي وبنيه وعددهم سبع). ليبلغ العدد الذي رافق يعقوب ، ومن وُلد بمصر ليوسف سبعون نفساً.(١٦٥)

فكانت مصر دار غربة ثانية لبني إسرائيل ، وعند لقائه بيوسف قال "يعقوب" : " هاأنذا أموت ، ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم ، وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق أخوتك ، أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي.(١٦٦) ولو تأملنا هذه الكلمات لرأيناها تحمل تناقضاً تاريخياً ، فلم تكن فلسطين أرض بني إسرائيل ليعودوا إليها ، بل كانت أرض "كنعان" كما جاء في سفر التكوين نفسه ، حتى السهم الذي وعد به يعقوب ابنه "يوسف" هو من أملاك الأموريين ، وقد أخذه منهم قسراً.

وجدير بالملاحظة أنه لم يولد ليعقوب عليه السلام بأرض فلسطين سوى ابنه "بنيامين" من زوجته "راحيل" بنت "لابان" ، فهل يعطي مولده الحق لبني إسرائيل حتى يعتبروا أرض فلسطين هي أرض ميعادهم والتي ثبت بالدليل القاطع أنها أرض غربتهم ، فإذا كان ذلك كذلك فما بالنا لو كان كل أبناء "يعقوب" قد ولدوا بها.(١٦٧)

ولا يفوتنا ان نذكر أن "إسحاق ويعقوب" كانا على ملة إبراهيم عليه السلام ، مسلمين حنيفيين ، ولم يكونا يهوديين ، مما يجعل عصرهم مختلفاً تماماً عن عصر موسى عليه السلام واليهود. يؤيد ذلك قول الحق تبارك وتعالى : "أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة:١٣٣) .(١٦٨)

ويقول جل شأنه : "أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (البقرة: ١٤٠) .(١٦٩)

ومن هنا انطلق علماء الآثار على هذا العصر -عصر الآباء الجوالين.

وعن نقاوة الجنس اليهودي يقول : "ول ديورانت" بخلاف ما قدمناه: " والحق أن وجود جنس نقي في الشرق الأوسط بين الآلاف من تياراته الجنسية التي تتلاطم فيه أمر يتطلب مستوى من الفضيلة لا يعقله عاقل ، على أن اليهود كانوا أنقى أجناس الشرق الأدنى غير النقية ".(١٧٠)

وبهذا أكد "ديورانت" عدم نقاء الجنس اليهودي كما أثبتنا ذلك من خلال الدراسة السابقة ، وبالطبع يقودنا هذا الكلام إلى الحديث عن قضية الشتات والاختلاط بالنسبة لليهود .

الشتات *Diaspora* والاختلاط :

جاء في البروتوكول "الحادي عشر" لحكماء صهيون : " والله قد أنعم علينا نحن الشعب المختار ، بنعمة السبي والجلاء ، والتفرق ، والشتات في الأرض ، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى جل ضعفنا ، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله ، وأما ما بقي علينا أن نبينه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير".(١٧١)

وهكذا يعتبر اليهود الشتات من أسباب قوتهم ودافعهم إلى بسط سيادتهم على الرغم من الضعف الذي أصابهم في تلك الفترة .

ويمكن أن نميز بين ثلاثة عصور للشتات (البابلي ، والهليني ، والروماني). أما عن "البابلي" فيذكر تاريخياً أن "سرجون" ملك "أشور" قام بنقل كثير من يهود السامرة من أبناء القبائل العشر إلى بابل ، وأسكن بدلاً منهم بعض أسر البلاد المفتوحة .(١٧٢)

وهذا في حد ذاته شتاتاً واختلاطاً لليهود في نفس الوقت ، سواء للمشتتين مع من يقيمون بينهم ، أو من تبقى منهم مع الذين أتى بهم سرجون .

ويأتي "نبوخذ نصر" عام ٥٨٦ ق. م لغزو بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم على رأي "ابن العبري"(١٧٣) ، وقضى على مملكة يهوذا في الجنوب ، والتي ضمت قبيلتي "يهوذا وبنيامين" ، ثم دمر الهيكل. جاء في سفر التكوين : " جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها ، وبنو عليها أبراجاً حولها ، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا ... اشتد الجوع في المدينة ، وهرب جميع رجال القتال ليلاً من طريق الباب بين السورين اللذين نحو جنة الملك. وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا في طريق البرية ، فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه في برية أريحا ، وتفرقت جميع جيوشه عنه ، فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه ، وقتلوا بني صدقيا أمام عينيه ، وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل .(١٧٤)

وهكذا أودع "صدقيا هو" السجن ، وقتل أبناؤه ، ثم قام "نبوزردان" بالزحف إلى أورشليم " جاء نبوزردان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم ، وأحرق بيت الرب وبيت الملك ، وكل بيوت أورشليم ، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار ، وجميع أسوار أورشليم مستديرة هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة ، والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزردان رئيس الشرط. ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين ".[١٧٥]

فبنص التوراة دمرت أورشليم ، وسبي أهلها تماماً فيما عرف بالسبي البابلي أو الشتات البابلي فلم يتبقى لليهود في أرض فلسطين أرض غربتهم وليست معادهم شيء.

لكن اليهود في منفاهم بدأوا تنظيم أنفسهم سراً للتآمر على "بابل" والعراق ، وإنشاء حركة صهيونية في ذاك الوقت السحيق في التاريخ ، وكان لتلك الحركة دعاتها الذين تباكوا على حالهم وألفوا الأناشيد والمزامير من أجل ذلك. جاء في المزامير :

على أنهار بابل هناك جلسنا ، بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني ، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي ، اذكر يا رب لبني آدوم يوم أورشليم القائلين هُدُّوا. هُدُّوا حتى إلى أساسها.

يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا !
طوبـى لمـن يمسـك أطفـالك ويضرب بهم الصخرة !.(١٧٦)

وهكـذا نـرى الفكـر الصـهيوني واضـحاً حيـث الإحسـاس بالاغـتراب والـبكاء بسـبب الأسـر والتعذيـب ، والتغنـي بأورشليم ، وإظهـار عـداء البشـر لهـا ، بالـرغم من أنها كما أثبتنا دار غربة ، ثم الدعوة الصريحة للعدوان على بابل وضرب أطفالها بالصخر.

ويلاحـظ أن حملـة الدعايـة الصـهيونية تلك للعودة إلى أورشليم لـم تكـن وقفـاً علـى يهود الأسر البابلي وحدهم بل كان للأنبياء نصيب فـيها فهـا هـو "حزقـيال" وهو من أنبياء تلك الفترة يقول : " كانت عليّ

يـد الـرب ، فأخرجنـي بـروح الـرب ، وأنزلني في وسط البقعة وهي ملأنة عظامـاً ، وأمَّرنـي علـيها مـن حولهـا وإذا هـي كثيرة جداً على وجه الـبقعة ، وإذا هـي يابسـة جـداً ، فقال لي : يا ابن آدم أتحيا هذه العظام ؟ فقلـت : يـا سـيد الـرب أنـت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لهـا : أيـتها العظـام اليابسـة اسـمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهـذه العظـام هـاأنذا أدخـل فـيكم روحـاً فتحيون وأضع عليكم عصباً وأكسـيكم لحمـاً وأبسـط علـيكم جلـداً ، وأجعـل فـيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب.

فتنـبأت كمـا أمـرت ، وبيـنما أنا أتنبأ كان صوت ، وإذا رعش فتقاربـت العظـام كـل عظـم إلى عظمة ، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كسـاها ، وبُسـط الجلـد علـيها مـن فـوق وليس فيها روح ، فقال تنبأ للـروح ، تنـبأ يـا ابـن آدم ، وقل للروح هكذا قال السيد الرب ، هلم يا روح مـن الـرياح الأربـع وهُـب على هؤلاء القتلى ليحيوا ، فتنبأت كما

أمرني ، فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً ثم قال لي : " يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل ، هاهم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا قد انقطعنا ، لذلك تنبأ وقل لهم : هكذا قال السيد الرب : هاأنذا أفتح قبوركم ، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي ، وأجعل روحي فيكم فتحيون ، وأجعلكم في أرضكم ، فتعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب .(١٧٧)

وهكذا أوضح سفر حزقيال أن الله عز وجل مع اليهود يحي عظامهم ويجدد فيهم الأمل حتى يعودوا إلى أرضهم لأنهم شعبه المختار.

واليهود بالطبع لم يتورعوا عبر تاريخهم عن التعاون مع قوى الظلم والعدوان ، ولو تسبب ذلك في كوارث للبشرية ، فقديماً تعاونوا مع الفرس لتنفيذ مخططاهم للتوسع في العراق ، وأجزاء من شبه جزيرة العرب ، وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ثم مصر التي احتلت بقيادة " قمبيز" الفارسي الذي استعان باليهود ، ودل على ذلك مجموعة من الوثائق كتبت باللغة الآرامية على ورق البردي في جزيرة "فيلة" بأسوان ، وأثبتت مدى التعاون بين اليهود والفرس في عدد من المجالات. هذا ما اتصل بالشتات البابلي.

أما الشتات الثاني : وهو "الهليني" فيمتد منذ الاسكندر الأكبر وحتى عصر البطالمة ، وكان اتجاه اليهود فيه نحو الغرب على عكس الشتات البابلي ، وبالرغم من مقاومية بعض اليهود للصبغة الهلينية فيما عرف بالثورة المكابية إلا أن اليهود انتشروا وتشتتوا في البلاد ففي مصر كان ثلث سكان الإسكندرية من اليهود ، وكذلك وُجد اليهود في كل من سوريا وآسيا الصغرى ، والبلقان ، وسواحل البحر

الأسود الشمالية ، وجنوب روسيا ، فضلاً عن يهود الخزر عين بحثنا على سواحل بحر قزوين ، وفي القرم .

ونأتي إلى الشتات الثالث : وهو الروماني ، وقد بدأ مع ثورة المكابيين واكتمل مع الغزو الروماني لفلسطين الذي رد على تمرد اليهود بتخريب أورشليم والهيكل ، وبإبادة اليهود في مذبحة عام ٧٠ ميلادية على يد "تيتوس" ، وبالرغم من عودة بعض اليهود إلى الثورة عام ١٣٥م إلا أن الإمبراطور هادريان قام بعمل مذبحة لهم أنهت وجودهم في فلسطين. ومهما كانت أرقام الضحايا في المذبحة الرومانية مبالغ فيها ، فإنه على الأقل راح ضحيتها ما لا يقل عن ستمائة ألف بين قتيل وأسير ، ثم شرد من تبقى لأن الرومان حرموا على اليهود دخول القدس ، فطردوا البقية الباقية من فلسطين ، وكان هذا هو التاريخ وإلى الأبد الذي انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً ، إنه الخروج الأخير على رأي الدكتور جمال حمدان.[١٧٨] هذا عن الشتات في العصور الوسطى ، والذي أعقبه شتات آخر فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة ، وفلسطين ، وهم يهود شرق أوربا ولاسيما الإشكيناز *Ashkenazim* .

وبالطبع تطلّب الوضع اختلاط هؤلاء المشتتين مع سكان البلاد مما يؤكد عدم نقاوة الجنس اليهودي كما أوضحنا من قبل. ولم يكن هذا الاختلاط وقفاً على العصر الحديث فحسب ، وإنما عاصر الاختلاط اليهود منذ عصر أنبياءهم لأن هناك أمم عاصرتهم مثل الأموريين وكانوا شقراً مستطيلي الرأس طوال القامة ، والحبشيين وكانوا جنساً أسمر البشرة ، والكوشتيين *Gusshites* وهم جنس شبه زنجي ، وعاصرهم أيضاً الحيثيون فضلاً عن الفرس والعرب وغيرهم .[١٧٩]

وقد تزوج العبرانيون القدامى من كل هؤلاء فيذكر أن سيدنا "إبراهيم" تزوج من هاجر المصرية ، ومن قطوراء التركية ، وتزوج سيدنا "إسحاق" من آرامية هي ابنة خاله ، وتزوج "عيسو" من ابنة عمه إسماعيل العربية كما تزوج ياهوذا بن يعقوب شرع الكنعانية ، وقد ولد الملك شاءول من أم كنعانية ، وكانت أم سيدنا "داود" "روت" المؤابية ، وكان سيدنا سليمان من أم حبشية ، وتزوج من نساء كثيرة : " وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موابيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحبشيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم.[١٨٠] كما تزوج شمشون من دليلة الفلسطينية ، وأيضاً تزوج سيدنا موسى من "زيبورا" الميديانية .

وهكذا لم يكن اليهود جنساً نقياً بل مهجناً منذ البداية ، وهناك مصدر مهم للتهجين ، وهو الأعداد الوفيرة من أكثر الأجناس اختلافاً أولئك الذين تحولوا إلى اليهودية مثل : فلاشا الحبشة ذوو البشرة السوداء ، ويهود "كاي فنج" الصينيون ، واليهود اليمنيون إلى أن نصل إلى يهود الخزر محور بحثنا. وكل هذا يؤكد عدم نقاء الجنس اليهودي على مر التاريخ حتى تسقط دعاويهم في هذا الشأن .

ثالثاً : رسوم يهود الخزر

توضح الدراسة رسوم الخزر في نظام حكمهم ، وكيفية اختيار ملكهم ، ومدى ما يحظى به من تقديرهم واحترامهم وطاعتهم ، ونظام قضائهم ، وكذلك قيادة جيوشهم ، وطريقة دفن موتاهم لا سيما ملكهم ، وأخيراً عادة حرق موتاهم .

أ. ثنائية الحكم واختيار ملك الخزر :

الثنائية هي مظهر الحكم في دولة يهود الخزر ، فهناك ملكان يدعى أحدهما "خاقان الكبير" ، والآخر "خاقان به" ، ومع أن الأول ليس له من الأمر شيء ، فإن الحكم لا يستقيم إلا به. أما الآخر فهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ، ويدبر أمر المملكة ويرعى شئونها .[١٨١]

ويشير "الكرديزي" إلى هذه الثنائية مع تصحيف طفيف فيذكر أن للخزر ملكان عظيمان ، الأول يدعى "خاقان الخزر" ، الذي ليس له إلا الاسم فقط ، والآخر يدعى "الشاد" وهو الذي يضبط عمل الدولة ، والجيش وغير ذلك .[١٨٢]

ويؤكد "المسعودي" هذه الثنائية بشيء من التفصيل فيذكر أن للخزر ملكان أحدهما يدعى "خاقان" ، والآخر يدعى "ملك الخزر" ، ومن رسم "خاقان" أن يكون في أيدي ملك الخزر يقطن في جوف قصره ، لا يعرف الركوب ، ولا الظهور للخاصة ، ولا للعامة ، ولا الخروج من مسكنه ، معه حرمه ، وليس له من الأمر شيئاً. ومع ذلك فأمر المملكة لا يستقيم إلا به ، فإذا أجدبت أرض الخزر أو تعرضت لخطر محدق ، أو أغارت عليهم أية أمة من الأمم ، أو فاجأهم أمر من الأمور ، نفرت الخاصة والعامة إلى ملك "الخزر" قائلين له : " قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه ، وقد تشاءمنا به ، فاقتله أو سلمه إلينا

نقتله ، فربما سلمه إليهم فقتلوه ، وربما تولى هو قتله ، وربما رق له فدافع عنه".(١٨٣)

وهكذا أوضح "المسعودي" أهمية ملكي الخزر "في الحكم" ، "فخاقان" بالرغم من أنه ليس له من الأمر شيء إلا أن الحكم لا يستقيم إلا بوجوده. وأما الآخر فهو المسئول عن إدارة أمر المملكة ، واختيار "الخاقان" أو التخلص منه .

اختيار ملك الخزر :

أما اختيار ملك الخزر فله ارتباط وثيق بثنائية الحكم لذلك يقول "الإصطخري" : " وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى "خاقان خزر" ، وهو أجل من ملك الخزر ، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه . وبعد تأكيد هذه الثنائية يقول : " وإذا أرادوا أن يقيموا هذا "الخاقان" جاءوا به ، فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له كم تشتهي مدة الملك ؟ فيقول كذا ، وكذا سنة ، فإن مات دونها ، وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة ".(١٨٤)

وبالطبع أوضحت هذه الأسطر القليلة الارتباط بين ثنائية الحكم واختيار "خاقان الخزر" فلملك "الخزر" دخل كبير في اختيار هذا الخاقان.

بيد أن "ابن حوقل" يتعرض لهذه الثنائية والارتباط بينها وبين اختيار ملك "الخزر" بطريقة مغايرة فيقول : " أما سياستهم وأمر المملكة فيهم فإنها تنتمي إلى عظيمهم المسمى "خاقان خزر" وهو أجل من ملك الخزر المسمى "باك" ، لأن ملك الخزر به ينعقد ، وهو الذي يقيمه ويثقفه ، وإذا أرادوا أن يقيموا ملكاً بعد هلاك ملكهم جاء هذا الخاقان به فذكره الله ووعظه وعرفه ما عليه وما له من حقوق

الملـك وأثقالـه ، ومـا ينوبه من الإثم والوزر فيما يتكلفه إن قصر فيه أو عمـل بغـير الواجـب مـنه وأتـى غير الصواب والحق في أحكامه .... فـإذا جـاء بـه لـيقعدوه في المملكة ويسلموا عليه بها خنقه خاقان الخزر بحريـره ، فـإذا قـارب أن يـنقطع نفسـه قالوا لـه : كم تحب أن يكون مـدة ملكـك فـيقول كـذا وكذا. فإن مات دون تلك المدة فبقضاء الله مات ، وإن بقي بعد ما ذكره بلسانه قتل بعد بلوغه الأجل ".(١٨٥)

وهكـذا أكـد "ابـن حوقـل" ثنائـية الحكـم في بلاد الخزر ومدى الارتـباط الوثـيق بيـنها وبيـن اختـيار الملـك ، لكن ابن حوقل خالف الاصـطخري فـي طـريقة الاختـيار حيث جعل "خاقان الخزر" هو الذي يقـوم باختـيار الملـك بعـد تأديبه وتثقيفه ليكون مستعداً لتحمل المسئولية ، بيـنما قـال بعكـس ذلـك "الاصـطخري" تجعـل ملك الخزر هو الذي يخـتار الخاقـان. ومـدة حكـم ملك الخزر "أربعون سنة" إذا جاوزها يوماً واحـداً قتلـته الرعـية وخاصـته ، وقـالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه ".

ويلقـي "كيسـتلر" الضـوء علـى ثنائـية الحكـم في بلاد الخزر كمظهـر مـن رسـومهم فـيذكر : أن الخاقان يمثل السلطة الدينية ، بينما نائـبه يمـثل السـلطة الدنـيوية ، وهـو نظـام شـبيه بنظام "اليابان" في العصـور الوسـطى حيـث كانـت السلطة الدنيوية مركزة في يد الشومان ، بينما كان "الميكادو" يعبد بوصفه رئيساً صورياً مقدساً .(١٨٦)

وهكـذا تـدل الثنائـية فـي ذهن يهود الخزر على تميز مطلق بين مـا هـو مقـدس وما هو دنيوي ، وقد تبدو خصائص تقديس الخاقان فيما رواه ابن فضلان ، والاصطخري ، وابن حوقل.

يقـول "ابـن فضـلان" : " لا يدخـل على الخاقان الأكبر إلا الملك متواضـعاً يظهـر الإخـبات والسـكينة ، ولا يدخـل عليه إلا حافياً وبيده حطـب فـإذا سـلم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود جلـس مـع الملـك علـى سريره عن يمينه ، ويخلفه رجل يقال لـه كندر خاقـان ، ويخلـف هـذا أيضـاً رجـل يقال لـه جاد شيغر".(١٨٧) ويذكر "ياقوت" أن الملـك الأكـبر لا يجلـس الـناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه أحد غير ما ذكر.(١٨٨)

وهـذا دلالـة علـى إجـلال خاقـان الخـزر الأكـبر. ويقـول "الاصـطخري" : "الخاقانـية لا تصـلح إلا فـي أهـل بيـت معروفين ، والخاقـان يعظـم ويُسـجد لـه إذا دُخل إليه ، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسـير مـثل الملـك ومـن في طبقته ، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة ، فـإذا دخـل علـيه تمرغ في التراب وسجد ، وقام من بعد حتى يأذن لـه بالـتقرب ، وإذا خـربهم حـزب عظـيم أخرج فيه خاقان ، فلا يراه أحد مـن الأتـراك ومـن يصـافيهم مـن أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيماً لـه ".(١٨٩)

ويـنقل "ابـن حوقـل" تقريـباً نفس النص عن الإصطخري(١٩٠) ، ويضـيف "ابـن فضـلان" أنـه "إذا ركـب هـذا الملك الكبير ركب سائر الجـيوش لـركوبه ، ويكـون بيـنه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلا خرّ لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه .(١٩١)

وعـن طاعـة "الخـزر" العمـياء لملكهم إجلالاً وإكباراً لـه يقول "الإصـطخري" وعـنه نقـل "ابـن حوقـل" بتصـحيف طفـيف "يبلغ من طاعـتهم لملكهـم أن أحدهـم ربمـا يجـب عليه القتل ويكون من كبرائهم فـلا يجـب الملـك أن يقـتله ظاهـراً فيأمره أن يقتل نفسه فينصرف إلى

منزله ويقتل نفسه ، وعن وفاة "الخاقان" الكبير ودفنه لم يمر بقبره أحد إلا ترجّل وسجد ولا يركب ما لم يغب عن قبره. هذه مظاهر تقديس الخزر لملكهم .(١٩٢)

أما عن رسم يهود الخزر في القضاء فيقول "الاصطخري" : " وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان ، وإذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء ، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام ، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء ، وبين الملك سفير يراسلونه فيما يجري من الأمر وينتهون إليه فيرد عليهم أمره ويمضونه ".(١٩٣)

ويقول "المسعودي" ورسم مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم النصرانية ، وواحد للصقالبة والروس ، وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية ، وهي قضايا عقلية ، فإن ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام ".(١٩٤)

ومن رسم ملك الخزر في حياته الخاصة "أن يكون له خمس وعشرين امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه" يأخذها طوعاً أو كرهاً ، وله من الجواري للسراري لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال. وكل واحدة من الحرائر والسراري في قصر مفرد لها فيه مغشاة بالساج وحول كل قبة مضرب ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها ، فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر

حتى يجعلها في فراشه ، ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .[١٩٥]

ب. قيادة الجيوش:

ومن رسوم الخزر في قيادة جيوشهم يقول "ابن رستة" : " قد وظف ملكهم إيشا على أهل القوة واليسار منهم فرساناً على قدر أموالهم ، واتساع أصولهم في المعاش وهم يغزون البجناكية في كل سنة و"إيشا" هذا يتولى الخروج بنفسه ، ويخرج في مغازيه بعساكره ، وإذا خرجوا في وجه من الوجوه خرجوا بأسلحة تامة محلاة وأعلام وطرادات ، وجواشن محكمة ، وركوبه في عشرة آلاف فارس ، ممن هو مرتبط ، أجرى عليهم ، وفيهم من قد وظف على الأغنياء ، وإذا خرج لوجه من الوجوه هيئ بين يديه مثل شمعة وربما شعلة ، على صنعة الدف يحمله فارس يسير به أمامه ، فهو يسير وعسكره خلفه يبصرون ضوء تلك الشمعة ، فإذا غنموا جمعوا تلك الغنائم كلها في معسكره ، ثم اختار "إيشا" منهم ما أحب ، وأخذه لنفسه ، وأطلق لهم باقي الغنيمة ليقتسموها بينهم .[١٩٦]

ومن رسمهم في الناحية العسكرية يقول "الإصطخري"[١٩٧]: "وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل ، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر في مكانه ، ويقول : "ابن فضلان" : "خاقان به هو الذي يقود الجيوش ويسوسها ، ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ، ويظهر ويغزو ، وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه ، وإذا بعث خاقان الخزر سرية لم تولِّ الدبر بوجه ولا سبب فإن انهزمت قتل كل من يتصرف إليه منها ، فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم ، وهم ينظرون. وكذلك دوابهم ومتاعهم ، وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين

وصـــلبهم ، وربمـــا علقهـــم بأعـــناقهم في الشجر ، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسه".(١٩٨)

ويقـــول "المســـعودي" : " مـــتى كـــان لملـــك الخـــزر حـــرب مع المســـلمين وقـــف المســـلمون في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهـــل ملـــتهم ، ويحـــاربون معـــه سائر الناس من الكفار. ويركب منهم مع الملـــك فـــي هـــذا الوقـــت شـــخوص مـــنهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والـــدروع والخـــوز ، ومـــنهم رامحـــة أيضاً على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ".(١٩٩)

ويقـــول "ابـــن حوقـــل" : " ويقـــال إن جمـــيع جـــيش خزران اثنا عشر ألفاً مثبتين بالراتب إذا مات منهم رجل أقيم مكانه غيره".(٢٠٠)

ويقـــول "الكرديـــزي" : " يذهـــب الخزر كل عام إلى ولاية بجناك للغـــزو ، ويجلـــبون مـــن هـــناك المـــال والســـبايا ، ويأخذ الشاد خراجه ويوزعـــه علـــى الجـــيش ، ولهـــم أثناء غزو البرداس الأعلام والطرادات والجواشـــن المحكمـــة ، والمعـــارك الضـــارية. وحينما يركب ملك الخزر يركـــب معـــه عشـــرة آلاف فـــارس بعدتهم وآلاتهم بعضهم يأخذ الرواتب ، وبعضـــهم يـــأخذ ممـــا يوضـــع علـــى الأغنـــياء من أموال وصدقات ، وحيـــنما يذهـــبون إلـــى الغزو يتركون جيشاً كثيفاً في ديارهم حتى يرعوا الأبناء والذخيرة.

ولهـــم طلائـــع تـــتقدم الجـــيش كما تتقدم الملك الشموع والنفاطات التـــي صـــنعت مـــن الشـــمع حـــتى يسير على نورها مع الجيش. وحينما يغـــنمون غنـــيمة فـــإنهم يجـــتمعون جمـــيعاً فـــي المعسكر ثم يأخذ قائدهم لنفســـه كـــل مـــا يـــريد مـــن تلك الغنائم ثم يقسم الباقي بين الجيش. ويأمر قـــائدهم أن يحمـــل كـــل جـــندي دبوساً له رأس حادة مقداره ثلاثة أذرع ، حينـــما يـــنزلون يغرســـون تلـــك الدبابـــيس حولـــهم ، ويعلقون على كل

دبـوس درعـاً وبذلـك يصنعون ما يشبه السور للمعسكر ، ولو أراد عدو أن يباغـتهم لـيلاً ويقـيم معهـم معـركة. فإنه لا يستطيع ، لأن المعسكر بتلك الدبابيس المدرعة يعد كأنه الحصن.(٢٠١)

ج. ومن رسم الخزر في دفن ملكهم :

قـال "ابـن فضـلان" : " ورسـم الملـك الأكبر إذا مات أن يبنى لـه دار كبـيرة ، فـيها عشـرون بيـتاً ، ويحفر لـه في كل بيت منها قـبر ، وتكسـر الحجـارة حـتى تصـير مـثل الكحـل ، وتفرش فيه ، وتطـرح الـنورة فـوق ذلـك ، وتحت الدار نهر كبير يجري ، ويجعلون الـنهر فـوق القـبر ، ويقولون : حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هـوام وإذا دفـن مـلكهم ضـربت أعـناق الذيـن يدفنونه حتى لا يدري أيـن قـبره مـن تلـك البـيوت ، ويسـمى قبره الجنة ويقولون : قد دخل الجنة وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب.(٢٠٢)

د. عادة حرق الموتى :

ويقـول "المسـعودي" : " وإن ماتـت المـرأة لـم يحرق الرجل ، وإذا مـات مـنهم أعـزب زوج بعـد وفاتـه ، والنساء يرغبن في تحريق أنفسـهن لدخولهـن عـند أنفسـهن الجنة. وهذا فعل من أفعال الهند إلا أن الهـند لـيس مـن شـأنها أن تحـرق المـرأة مع زوجها إلا أن ترى ذلك المرأة ".(٢٠٣)

وهكـذا أوضـحت الدراسـة فـي الجانب الاجتماعي أصل الخزر التركـي ، الذيـن ينسـبون إلـى يافث وليس إلى سام بن نوح عليه السلام كمـا أوضـحت غربـتهم فـي إسـرائيل كغربة الأنبياء السابقين لليهود ، وكذلـك أوضـحت الدراسـة عـدم نقاء الجنس اليهودي ، كما ألقت ضوءًا علـى رسـوم الخـزر لتنتقل بعد ذلك إلى الوقوف على العلاقات المتعددة بين المسلمين والخزر.

المحور الثالث

العلاقة بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر

أولاً : العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدي.

ثانياً : العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي.

ثالثاً : العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر العباسي.

رابعاً : انهيار دولة يهود الخزر عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م.

المحور الثالث :

العلاقة بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر :

ستة قرون ونصف تقريباً كان عمر الخلافة الإسلامية (١١ـ٦٥٦هـ/٦٣٣ـ١٢٥٨م) ، بداية بالعصر الراشدي (١١ـ٤٠هـ/ ٦٣٣ـ٦٦٣م) ، مروراً بالأموي (٤١ـ١٣٢هـ/٦٦٤ـ٧٥٠م) ، ولأخيراً العباسي (١٣٢ـ٦٥٦هـ/٧٥٠ـ١٢٥٨م).

وخلال هذه الفترة حدثت علاقات متعددة (سياسية ، واجتماعية ، وثقافية) بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر تكشف عنها الدراسة التالية :

أولاً : العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدي :

حظيت منطقة جبال القوقاز ، وبحر قزوين وبصفة أخص ممر داريل *Dariel* (المعروف حالياً باسم ممر كازيك) ، والطريق الجانبي عبر ممر "دربند" الضيق على ساحل بحر قزوين. بعناية المسلمين منذ بداية الخلافة الراشدة.

فيذكر "الطبري"[٢٠٤] أنه في عام ٢٢هـ/٦٤٢م أرسل الخليفة "عمر بن الخطاب" (١٣ـ٢٣هـ/٦٣٤ـ٦٤٤م) كوكبة من القادة إلى منطقة "باب الأبواب" ، فرد "سراقة بن عمرو" إلى تلك المنطقة لأهميتها ، وجعل "عبد الرحمن بن ربيعة" على طليعته ، كما ولى "حذيفة بن أسيد الغفاري" أحد الأجناب ، وعلى الجانب الآخر ولى "بكر بن عبد الله الليثي" الذي كان بإزاء "الباب" من قبل ، مما يشير إلى خبرته بهذا المكان ، لذلك كتب إليه الخليفة "عمر" أن يلحق بجيش سراقة.

وبهذا الترتيب يكون "سراقة" هو القائد العام فمارس مهمته بإرسال "عبد الرحمن بن ربيعة" أمامه ، ثم خرج هو في أثره والتقى "بكر بن عبد الله" على مقربة من الباب ، فتوغل في تلك المنطقة ، وعند ذاك قام الخليفة "عمير بن الخطاب" بإرسال "حبيب بن مسلمة" مدداً له من الجزيرة .

وما أن اقترب "عبد الرحمن بن ربيعة" من باب الأبواب حتى كاتبه ملكها "شهر براز"[٢٠٥] مستأمناً إياه لكي يأتيه فالتقى به فقال له : "إني بإزاء عدوٍ كلب وأمم مختلفة ، لا يُنسبون إلى أحساب ، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول ، ونو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ، ولست من القبج[٢٠٦] في شيء ، ولا من الأرمن ، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي. فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوي معكم ، وبارك الله لنا ولكم ، وجزيتنا إليكم النصر لكم ، والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم ".[٢٠٧]

وهكذا أوضح ملك "باب الأبواب" سياسته الرامية إلى محاولة كسب ود المسلمين ، واستعدائهم على الخزر وغيرهم من أعداء هذا الملك ، كما لمس الجانب العرقي والاجتماعي حين تكلم عن وجوب التقاء وجهات النظر وتضافر الجهود بين أصحاب الحسب والنسب على من هم دونهم في ذلك. وأنه في معية المسلمين وميله إليهم ، وقتاله إلى جانبهم ، وجزيته النصر لهم ، محذراً من الشدة في طلب الجزية ؛ حتى لا يصابوا بالوهن في مواجهة عدو المسلمين ربما "الخزر" وغيرهم ، لأنه في قوته يعتبر حاجزاً يمنع الخطر عن المسلمين وفي ضعفه يكون العكس.

وعندما سمع "عبد الرحمن بن ربيعة" كلام الملك رد عليه قائلاً : " فوقي رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه ، فسار إلى "سراقة" فلقيه بمثل ذلك ، فقال سراقة : قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا مادام عليه ، ولابد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض ، فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزاء ، إلا أن يُستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة ، وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسنه.(٢٠٨)

وهكذا أعطى كل من "عبد الرحمن بن ربيعة" ، و"سراقة" درساً في أخلاق القيادة العسكرية ، فعبد الرحمن لم يُرد أن يقطع برأي دون الرجوع إلى قائده سراقة ، وسراقة يوافق على ما أنجزه عبد الرحمن مع تعديل بشأن الجزية ، فتؤخذ على من أقام ولم يشترك في القتال إلى جانب المسلمين ، فقبل الملك ذلك وأصبحت سنة ، وأن الجزية تسقط عمن استنفروا للقتال في نفس السنة فكتب "سراقة" إلى الخليفة "عمر" بذلك فأجازه واستحسنه مما يدل على تطور فكر "عمر بن الخطاب" حسب مقتضيات الأمور.

ثم كتب سراقة عهداً لشهر براز جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضارّوا ولا ينتقضوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب الطرّاء منهم والتُبنّاء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة ، وينفذُوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحاً ، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر ، والحشر عوض من جزائهم ومن استُغني عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدلالة والنُزل يوماً كاملاً ، فإن

حشـروا وضـع ذلـك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمن بن ربـيعة ، وسـلمان بـن ربـيعة ، وبكير بن عبد الله ، وكتب مرضي بن مقرن وشهر".(٢٠٩)

ومـن خـلال كلمـات الأمـان يتضـح مدى علو كعب المسلمين علـى أهالـي تلـك الـبلاد المقيميـن مـنهم والأهالـي ، وعلـى منطقة آذربـيجان ، وكلهـا علـى مقربة من أرض الخزر مما يدل على وصول النفوذ الإسلامي إلى شواطئ بحر قزوين.

وممـا يـدل علـى ذلـك ، قيام سراقة بن عمرو بتوجيه "بكير بن عـبد الله ، وحبيـب بـن مسـلمة ، وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهـل تلـك الجـبال المحـيطة بأرمينـية ، فوجه بكيراً إلى موقان(٢١٠) ، ووجـه حبيـباً إلـى تفلـيس ، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان(٢١١) ، وسـلمان بـن ربـيعة إلـى الوجـه الآخـر ، وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجـه فـيه هـؤلاء الـنفر إلى عمر بن الخطاب ، فأتى "عمر" أمر لم يكن يـرى أنـه يسـنح لـه على ما خرج عليه في سريح بغير مؤنة ، وكان مـزجاً عظـيماً بـه جـند عظـيم ، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.(٢١٢)

وقد قال "سراقة" ابتهاجاً بهذا النصر :

ومن يك سائلاً عني فإني

بأرض لا يؤاتيها القرار

بباب الترك ذي الأبواب دار

لها في كل ناحية مغار

نزود جموعهم عما حوينا

ونقتلهم إذا باح السِّرار

سددنا كل فرج كان فيها

مكابرة إذا سطع الغبار

وألحمنا الجبال جبال قبج

وجاور دورهم منا ديار

وبادرنا العـدو بكل فـجّ

نناهبهم وقد طار الشرار

على خيل تعـادي كل يوم

عتاداً ليس يتبعها المهار(٢١٣)

وهكـذا نالـت تلـك الـبلاد اهـتمام المسلمين وعنايتهم ، حتى أن "عمـر بـن الخطـاب" لـم يـتوقع وصول المسلمين إليها بهذه السرعة ، وممـا يـدل علـى مدى ما تلعبه هذه البلاد من دور مهم هو مدى تأثيرها فـي الصـراع بيـن المسـلمين والفرس ، بدليل أن الفرس كانوا ينتظرون نتـيجة الغـزوة الإسـلامية حـتى يبنوا عليها قرارهم للحرب أو السلام ، وقـد أكـد "ابـن الأثـير" أهمية هذا الثغر حين قال : " فأتى "عمر" أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤونة لأنه فرج عظيم".(٢١٤)

وقـد أكـد "الطـبري"(٢١٥) أن "بكـير بـن عـبد الله الليثي" أحرز نجاحـاً ملموسـاً علـى أهـل موقان بجبال القبج ووقع لهم أماناً جاء فيه : " بسـم الله الرحمـن الرحـيم. هـذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان مـن جـبال القـبج الأمـان علـى أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجـزاء ديـنار علـى كـل حـالم أو قيمته ، والنصح .... فلهم الأمان ما أقـروا ونصـحوا ، وعليـنا الوفـاء والله المسـتعان ، فـإن تـركوا ذلك

واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم ، وإلا فهم ممالئون ، شهر الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب وحملة بن جويه ، وكتب سنة إحدى وعشرين".

ومما يؤكد عناية الخليفة "عمر بن الخطاب" لهذا الثغر متابعته لما يجري هناك فيذكر "ابن الأثير"[٢١٦] أنه "لما بلغ "عمر" موت [redacted] استخلاف عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب ، وأمره بغزو الترك ". وبالطبع يقصد "ابن الأثير" بالترك "الخزر" الذين يتمركزون خلف هذا الباب.

عبد الرحمن بن ربيعة يغزو الخزر :

بعد استخلافه على الباب أمره "عُمر بن الخطاب" بغزو الترك فخرج "عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب ، فقال له "شهر يزار" ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد بلنجر ، قال : إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب ، قال : لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم ، وبالله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم ، قال : وما هم ؟ قال : أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ، ودخلوا في الأمر بنية [كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرمهم] ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم ، وحتى يلفتوا عن حالهم. فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تتم فيها امرأة ، ولم يتم فيها صبي وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر ، ثم غزا فسلم وعاد ".[٢١٧]

وهكـذا حـاول "عـبد الرحمـن" أن يصل إلى بلنجر عاصمة بلاد الخـزر وقـتذاك ، ثـم واصـل زحفه حتى بلغ مدينة البيضاء على مسافة مائتي فرسخ من بلنجر.

ويصـور "ابـن الأثـير" الصـراع الذي دار بين "عبد الرحمن بن ربـيعة" والـترك ، فـيقول : "قـاتل عـبد الرحمـن حـتى قتل وانكشف أصـحابه وأخـذ الـراية أخـوه سلمان ، فقاتل ثم خرج بالناس إلى جيلان ، ومـنها إلـى جـرجان ، واجـتراً الـترك بعدهـا ، ولم يمنعهم ذلك من اتخـاذ جسـد عـبد الرحمـن فهم يستسقون به إلى الآن ". أي زمن كتابة هذا الكلام على لسان "ابن الأثير".(٢١٨)

وهكـذا شـهد عهـد الخلـيفة عمـر بـن الخطاب عناية واهتماماً بالغيـن بمـنطقة "بـاب الأبـواب" ثغـر بلاد الخزر ، ووصلت قواته إلى مدينتـي "بلـنجر والبيضـاء" ، وهمـا مـن المدن المهمة هناك ليفتح بذلك الـباب أمـام القـوات الإسـلامية فـي عهـد الخلـيفة عـثمان بن عفان (٢٣ـ٣٥هـ/٦٤٣ـ٦٥٥م) للدخول إلى تلك البلاد.

فـيذكر "الـبلاذري"(٢١٩) أنـه لمـا استخلف "عثمان بن عفان" كتب إلـى "معاويـة" عاملـه علـى الشام والجزيرة وثغورها ، يأمره أن يوجه "حبيـب بـن مسـلمة" الفهري إلى أرمينية ، وكان حبيب ذا أثر جميل في فـتوح الشـام ، وغـزو الـروم ، قد علم ذلك منه "عُمر" ثم "عثمان" ﷺ ، ويقـال : بـل كتـب عثمان إلى "حبيب" يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت ، فـنهض إلـيهما فـي سـتة آلاف ، ويقال في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيـرة ، فـأتى "قالـيقلا"(٢٢٠) فأنـاخ عليها وخرج إليه أهلها ، فقاتلهم ثـم ألجـأهم إلـى المدينـة ، فطلـبوا الأمان على الجلاء والجزية ، فجلا كثـير مـنهم فلحقـوا ببلاد الروم ، وأقام "حبيب بن مسلمة" بها فيمن معه

أشـــهر" ، ثـــم بلغـــه أن بطـــريق "أرمنـــيا قـــس" قد جمع للمسلمين جمعاً عظـــيماً ، وانضـــمت إلـــيه أمـــراء أهـــل الـــلان ، وأنجاز ، وسمندر من الخزر.

ويســـتفاد مـــن هـــذا أن الخلـــيفة "عثمان بن عفان" سار على درب الخلـــيفة "عمـــر بـــن الخطـــاب" ، في عنايته ببلاد الخزر لموقعها الحساس ، فوجـــه حبيـــب بـــن مســـلمة لغزو أرمينية المجاورة لبلاد الخزر ، على رأس جـــيش مـــن الشـــام ، وبعـــد أن دخـــل "قالـــيقلا" وأمن أهلها نما إلى علمـــه أن "أرمنـــيا قـــس" الإمـــبراطور البيزنطـــي قد اتفق مع بعض أهل الخـــزر ضـــد المســـلمين ، وعلـــى ذلك فإن الخزر قد أعلنوا الحرب ضد المسلمين ولو بطريق غير مباشر.

وعـــندئذ كتـــب حبيـــب إلـــى "معاويـــة" يطلب مدده لمواجهة هذا العـــدوان ، فـــأمده معاويـــة بألفـــي رجـــل مـــن أهـــل الشام والجزيرة ، فأســـكنهم "قالـــيقلا" ، وأقطعهـــم بهـــا ، وجعلهـــم مـــرابطة بها. ولما ورد "عـــثمان" كـــتاب "حبيـــب" كتـــب إلى سعيد بن العاص بن أمية عامله على الكوفـــة يأمـــره بـــإمداد "حبيـــب" بجـــيش يقوده "سلمان بن ربيعة الباهلي" وهـــو "ســـلمان الخـــيل" ، وكـــان غـــزاءً فسار سلمان الخيل إليه في ستة آلاف رجـــل مـــن أهـــل الكوفـــة ، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفـــرات ، وقـــد أبطـــأ علـــى حبيـــب المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم ، وقـــتلوا عظـــيمهم ، وقالـــت أم عـــبد الله بنـــت يـــزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتـــئذ لـــــه أيـــن موعـــدك ؟ قال : سرادق الطاغية أو الجنة. فلما انتهى إلـــى الســـرادق وجدهـــا عـــنده ، قـــالوا : ثـــم إن ســـلمان ورد وقد فرغ المســـلمون مـــن عدوهـــم فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم في الغنيمة فلـــم يفعلـــوا حـــتى تغالط حبيب وسلمان في القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل ، قال الشاعر :

إن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم

وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل(٢٢١)

وهكذا قاد حبيب وسلمان المسلمين ضد بعض الخزر والبيزنطيين ، وبعد إحراز النصر يذكر "البلاذري" خلافاً نشب بين "حبيب وسلمان" ، أو بالأحرى خلافاً بين أهل الشام وأهل الكوفة حتى توعد شاعر من الكوفة حبيباً بالقتل من أجل توزيع الغنائم.

وما إن وصل الخبر إلى الخليفة "عثمان" حتى أنهى المشكلة على الفور بأن وجه الغنائم لأهل الشام ، ثم أمر سلمان بالزحف إلى الران. أي وجه نظر المتشاحنين إلى ما هو أكبر من الغنائم وهو إعلاء كلمة الإسلام في تلك البلاد.

وبالفعل توجه "حبيب" عام ٢٥هـ إلى بلدة "مكس" من بلدان "البسفرجان" فقاطع صاحبها على بلاده ، ثم اتجه إلى "أزد شاط" وهي قرية "القرمز" الذي يُصبغ به فنزل على نهر دبيل ، وهناك سرح الخيول فحصرها ، لكن أهلها تحصنوا فنصب عليهم منجنيقاً ، فطلبوا الأمان فأمنهم ، بعد ذلك بث سراياه حتى "ذات اللجم" وسميت بذلك لأن المسلمين أخذوا لجم خيولهم فأغار البيزنطيون عليهم قبل أن يلجموا خيولهم ، ثم ألجموها وقاتلوهم وظفروا بهم. أعقب ذلك توجيهه سرية إلى "سراج طير وبغروند" فصالحه أهلها على إتاوة ، وقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده ، وأتى "السيسجان" فحاربه أهلها فهزمهم ، وغلب على حصونهم ، وسار إلى "جرزان" فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح ؛

تفليس فصالحه أهلها ، وافتتح عدة حصون ومدن على مقربة منها صلحاً.(٢٢٢)

بيد أن "سلمان بن ربيعة الباهلي" في نفس العام اتجه إلى "أران" ففتح "البيلقان" صلحاً على أن أمنهم على دمائهم ، وأموالهم ، ومباني بلدهم ، واشترط عليهم الجزية والخراج. ثم اتجه سلمان إلى مدينة برذعة فعسكر بقواته على نهر "الثرثور" الذي يبعد عن المدينة بفرسخ "حوالي ستة كيلو مترات وربع" واشتبك مع أهلها عدة أيام ، وقام بشن الغارات على أهلها في قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ، فدخلها ووجه خيله وافتتح معظم رساتيقها.(٢٢٣)

ويذكر "ابن الأثير"(٢٢٤) أنه دعا أكراد "البلاشجان" إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية إلى شمكور ففتحوها ، وهي مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى أخربها "السناوردية" ــ عند البلاذري الساوردية ــ وهم قوم تجمعوا عند انصراف يزيد بن أسيد عن أرمينية فعظم أمرهم فعمرها "بغا" أحد قادة الترك عام مائتين وأربعين وسماها المتوكلية نسبة للمتوكل العباسي (٢٣٢ـ٢٤٧هـ/٨٤٧ـ ٨٦١م). وسار "سلمان" بعد ذلك إلى مجمع "الرس والكر" ففتح "قبله" وصالحه صاحب "سكر" وغيرها على إتاوة ، وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال ، وأهل مسقط ، والشابران ومدينة باب الأبواب.

كان طبيعياً أن يحدث صداماً بين سلمان بن ربيعة ، وخاقان الخزر بعد هذا الجهد الملحوظ من سلمان في تلك البلاد ، فالتقيا خلف نهر البلنجر ، واشتدت وطأة القتال بين الطرفين ، واستشهد سلمان

فـي هـذه الموقعـة مـع جمـع مـن المسـلمين. وكـان سلمان حقاً من المحاربين الأكفاء حتى قارنه ابن جمانة بقتيبة بن مسلم الباهلي فقال :

وإن لـنا قـبرين قـبر بلنجر

قبر بصين استان يالك من قبر

فذاك الذي بالصين عمت فتوحه

وهذا الذي يسقى به سبل القطر.[٢٢٥]

وهكـذا رأيـنا كـيف تعـددت العلاقات بين المسلمين في العصر الراشـدي ، والخـزر علـى مـناطق الحـدود مما يؤكد أهمية هذا المكان الـذي راح ضـحيته بعـض القـادة كسلمان بن ربيعة على سبيل المثال. ولم تتوقف العلاقات بل واصلت طريقها في العصر الأموي.

ثانياً : العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي

امتد حكم الدولة الأموية لأكثر من تسعين عاماً (٤١ــ١٣٢ هـ/٦٦١ــ٧٤٩م) تعددت خلالها العلاقات الإسلامية الخزرية ، فها هو أول الخلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان (٤١ــ٦٠هـ/٦٦١ــ ٦٧٩م) ، يولي (عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي) أمر "أرمينية" ، لأهميتها الخاصة لكونها على مقربة من بلاد "الخزر" ، وإثر وفاته خلفه أخوه (عبد العزيز) فبنى مدينة "تبيل" وحصنها ، كما بنى مدينة "النشوى" بالإضافة إلى تجديده بناء مدينتي "برذعة ، والبيلقان".(٢٢٦)

وفي عام (٧٣هـ/ ٦٩٢م) في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ــ٨٦هـ/ ٦٨٤ــ٧٠٥م) تولى أمر الجزيرة وأرمينية أخاه "محمد بن مروان" فقام بغزو أرمينية ، ووصل إلى بحيرة "الطريخ" ، وقد كانت مشاعاً. فضبط شئونها ، وأصبح سمكها يباع لصالحه ، ثم صارت من بعده لابنه "مروان" ، وصارت سنة إلى أن تغير الأمر فيما بعد.(٢٢٧)

وفي عام ٩١هـ / ٧٠٩م في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ــ٩٦هـ/٧٠٥ــ٧١٤م) غزا "مسلمة بن عبد الملك" الترك حتى بلغ "الباب" من ناحية آذربيجان ، ففتح حصونها ومدناً هناك(٢٢٨)، ثم تولى أمر أرمينية بعد ذلك "عدي بن عدي بن عميرة الكندي" في عهد كل من الخليفتين سليمان بن عبد الملك (٩٦ــ٩٩هـ/٧١٤ــ٧١٧م) وعمر بن عبد العزيز (٩٩ــ١٠١هـ/٧١٧ــ٧١٩م) وهو صاحب نهر عدي بالبيلقان.(٢٢٩)

وهكـذا أولـت الدولـة الأمويـة عنايتها ببلاد الخزر استكمالاً لما قامـت بـه الخلافـة الراشـدة مـن غـزو لأرمينية ومنطقة باب الأبواب استعداداً للدخـول إلـى بـلاد الخـزر ، وفـي المقابل بدأ الخزر يردون علـى هـذه الغـزوات ، فكـان صراعاً عنيفاً في عام ١٠٤هـ/٧٢٢م يُعد تطوراً في موقف العلاقات بين الطرفين.

ففـي العـام المذكـور دخـل جيش للمسلمين بقيادة "ثبيت النهري" مـن ناحـية "أرمينـية" ، فاجتمعـت "الخزر" ، وأعانهم "القفجاق" وغيرهم مـن الـترك ، والـتقوا بالمسـلمين فـي مكـان يعـرف "مرج الحجارة" فاقتـتلوا قـتالاً شـديداً ، واستشـهد فـي هذه المعركة الكثير من المسلمين وعلـت يـد "الخـزر" لأول مـرة فـي تـاريخ الصـراع المباشر وغير المباشـر ، وغـنموا وعـاد المسـلمون إلـى بلاد الشام ، فعنفهم الخليفة يـزيد بـن عـبد الملـك (١٠١ـ١٠٥هـ/٧١٩ـ٧٢٣م) علـى الهزيمة ، وحـاول "ثبيـت" تـبرير الموقـف ، لكـن "يزيد" لم يقبل منه ذلك. فعين "الجـراح بـن عـبد الله الحكمـي" بـدلاً منه على أرمينية ، وهي القاعدة التي تتحرك منها القوات الإسلامية تجاه الخزر وغيرها.(٢٣٠)

بـيد أن هـذا الانتصـار قد أعلى من نفوذ الخزر ، لكن "الجراح" أنـيط بـه غـزو الخـزر ، وإعـادة الأمور إلى نصابها. فسار على رأس قواتـه حـتى جـاء "بـرذعة" على نهر "الكر" وأقام بها بعض الوقت ، ثم اتجـه نحـو "الخـزر" فعبر ذلك النهر ، وعندئذ نما إلى علمه معرفة ملك الخـزر بـتحركه مـن أهالـي البلاد ، فعمد إلى حيلة مؤداها التمويه عليه ، بـإعلام الـناس أنـه مقـيم في مكانه طالباً منهم توفير المؤن ، ثم طلب مـن مـناديه إعـلام ملك "الخزر" بذلك ، وحثه على عدم التحرك حتى لا يكون وجنده هدفاً وصيداً سهلاً للمسلمين.(٢٣١)

وما إن أقبل الليل حتى أمر "الحجاج" جنده بتعجيل التحرك فوصلوا إلى مدينة "الباب" ، فلم يجد هناك "الخزر" ، وعلى الفور بث جنده وسراياه لتغزو وتحقق هدفها ، بل وتؤثر على معنويات ملك "الخزر" فغزوا وغنموا كثيراً ، لكن ملك "الخزر" لم يقف مكتوف الأيد ، بل جمع الجيوش بقيادة ابنه وأرسلها تجاه المسلمين فالتقوا على نهر "الرس" فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانجلى الموقف عن انتصار المسلمين بقيادة "الجراح" وجمعهم للعديد من الغنائم ، وسار "الجراح" متجهاً إلى حصن "الحصين" فنزله وأجلى أهله عنه ، ثم اتجه إلى مدينة "برغوا" فأقام عليها ستة أيام حتى طلب أهلها الصلح والأمان ، فأمنهم وتسلم حصنهم.(٢٣٢)

الجراح والاستيلاء على حصن بلنجر :

اتجه "الجراح" إلى حصن "بلنجر" المشهور على مقربة من نهر "إتيل" فنازل أهله ، وعندئذ جمعوا له ثلاثمائة "عَجلة" حربية وشدوها إلى بعضها البعض ، ونشروها حول حصنهم لحمايتهم ومنع تقدم المسلمين ، وحينما رأى المسلمون ذلك اندفع من بينهم حوالي ثلاثون رجلاً تعاهدوا على الاستشهاد في سبيل الله ، وتقدموا نحو العجل المترابط ، وحملوا عليه حملة رجل واحد ، وجدّ الخزر في منعهم ورموهم بكم كبير من النشاب ، إلا أن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، فواصلوا زحفهم نحو "العَجل" حتى تعلقوا به ونجحوا في قطع بعض الحبال التي تربط بينه ، فانحدر "العجل" تباعاً تجاه المسلمين ، وعلى أثره تقدم المسلمون واشتبكوا مع الخزر الذين حاقت بهم هزيمة قاسية ، وسقط على إثرها الحصن بأيدي المسلمين ، وغنموا كل ما فيه .

وبعد هذا النصر حاول "الجراح" احتواء صاحب "بلنجر" ، ليكون عيناً له ، فقام برد أمواله وأهله وحصنه إليه ، وسار متجهاً إلى حصن "الويندر" ، ولعله "سمندر" ، وكان به نحو أربعين ألف بيت من الترك فصالحهم على مال يؤدونه له. ولكن في تلك الأثناء تجمع أهالي البلاد من الخزر وغيرهم آخذين الطرق على المسلمين ، فأعلم صاحب "بلنجر" "الجراح" بذلك ، فعاد "الجراح" مسرعاً حتى وصل إلى رستاق "ملي" ، وكان الشتاء قد أدركهم فأقام المسلمون بهذا المكان ، وكتب "الجراح" إلى يزيد بن عبد الملك" يخبره بما تم له من فتح ، ويطلب مدده لمواجهة تجمع "الخزر" فوعده "يزيد" بذلك ، لكن المنية عاجلته قبل إرساله المدد للجراح.(٢٣٣)

بعد موت "يزيد" أصبح هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ١٢٥هـ/ ٧٢٣ـ٧٤٢م) خليفة المسلمين ، فأقرّ "الجراح" على عمله ، ووعده بالمدد ، وتقدم "الجراح" إلى "اللان" وراء بلنجر ، وفتح العديد من المدائن والحصون.(٢٣٤)

مسلمة بن عبد الملك والخزر

وفي عام ١٠٧هـ/٧٢٣م عزل الخليفة هشام بن عبد الملك "الجراح" عن أرمينية وآذربيجان ، واستعمل عليها أخاه "مسلمة بن عبد الملك" فاستعمل عليهما "الحرث بن عمرو الطائي" الذي فتح العديد من بلاد ورسانيق الترك ، وفي عام ١٠٩هـ/٧٢٧م عاد مسلمة لغزو آذربيجان فسبي وغنم ورجع إلى الشام ، وفي عام ١١٠ هـ/٧٢٨م غزا "مسلمة" الترك وباب اللان فلقي خاقان في جموعه فاقتتلوا حوالي شهراً ، وحينذاك ألم بهم مطر شديد ، فانهزم خاقان ،

وعـــاد مســـلمة ، وفـــي عـــام ١١١هـ/٧٢٩م تقـــدم الترك حتى آذربيجان فلقيهم الحرث بن عمرو فهزمهم .(٢٣٥)

عودة الجراح بن عبد الله الحكمي ثانية لأرمينية عام ١١١هـ/٧٢٩م وظهور الخزر :

شـــهد عـــام ١١١هـ/٧٢٩م عـــودة "الجـــراح" إلـــى أرمينية وعزل مســـلمة بـــن عـــبد الملـــك ، فدخل "الجراح" بلاد الخزر من ناحية تفليس ، ففـــتح مدينـــتهم "البيضـــاء" ، وانصـــرف مســـالماً ، فتجمعـــت الخـــزر واحتشـــدت واســـتعدت للـــزحف إلى بلاد الإسلام ، فهم لم ينسوا هزيمتهم الكـــبرى عـــام ١٠٤هـــ ، لذلـــك ما إن دخل "الجراح" أرض الخزر عام ١١٢هـــ/٧٣٠م حـــتى تجمعـــت الخزر والترك واشتبكوا مع الجراح في ناحـــية الـــلان. فاقتـــتلوا قـــتالاً أشـــد مما سبق راح ضحيته "الجراح" ومن كـــان معـــه مـــن أهـــل الشام بمرج "أردبيل" ، وكان الجراح قد ترك على أرمينـــية أخـــاه "الحجـــاج بـــن عـــبد الله" . ومـــا أن استشهد الجراح حتى طمـــع الخـــزر فـــي المســـلمين فـــأوغلوا في البلاد الإسلامية حتى وصلوا علـــى مقـــربة مـــن مدينـــة الموصل على رواية "ابن الأثير" ، وبذلك عظم الخطـــب علـــى المســـلمين. وقـــد أكـــد "البلاذري" استشهاد الجراح بأرض "بلـــنجر" فذكـــر بعـــد حـــربه مـــع الخزر وافتتاحه العديد من البلدان مثل خـــيزان ، وغومـــيك ، وشـــكي ، والبـــيلقان ، وغيرها حارب "الخزر" في صـــحراء "ورثـــان" ، وقـــد استشهد على نهر الرس الذي سمي بالجراح ، كما نسب جسر عليه إليه أيضاً.(٢٣٦)

ولمـــا بلـــغ الخلـــيفة "هشـــام بن عبد الملك" استشهاد "الجراح" ولى "ســـعيد الحرشـــي" أمـــر "أرمينـــية" ، فســـار إلـــى "خلاط" ، ثم "برذعة" ، وكـــان "ابـــن خاقـــان" يومـــئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل ، وهو محاصـــر مدينـــة "ورثـــان" فخـــاف "الحرشي" أن تسقط "ورثان" في يده ،

فأرسل بعض أصحابه إلى أهل "ورثان" سراً يعلمهم بوصولهم ، ويطالبهم بالتحلي بالصبر ، فاتجه إليهم المنوط بتبليغهم ، لكنه وقع في أيدي الخزر فسألوه عن وجهته فاعترف بمهمته ، وعندئذ طلبوا منه مقابل منحه الحرية أن يؤثر على معنويات أهل "ورثان"، بأنه لا معين ولا سند لهم ، وعليهم تسليم المدينة إلى "الخزر" ، فذهب المبعوث مغتنماً الفرصة ، وأعلم أهل "ورثان" بتواجد "سعيد الحرشي" بقواته على مقربة منهم ، وطالبهم بالصبر وحفظ البلاد ، فرفع أهل ورثان أصواتهم بالتكبير ، وراح هذا الرجل ضحية الموقف إذ قتله "الخزر" الذين رحلوا عن مدينة "ورثان" ، بينما جاءها "الحرشي" الذي لم يجد "الخزر" فغادرها إلى "أردبيل" التي تركها "الخزر" أيضاً فتعقبهم "الحرشي" إلى "باجروان" ، وعندئذ أعلمه أحد الفرسان أن الخزر قد تجمعوا في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبايا على مسافة أربعة فراسخ (أي حوالي خمسة وعشرين كيلو متر) فسار "الحرشي" في اتجاههم ليلاً وانقض عليهم مع الفجر فقتلهم واستنقذ المسلمين منهم ، وأخذهم معه إلى "باجروان" ، كما استنقذ حرم "الجراح" وأولادهم ، وأكرمهم وحملهم معه إلى "باجروان".(٢٣٧)

ويبدو أن "باجروان" كانت قاعدة للانطلاق والعودة ، فبعد أن وبخ ابن ملك الخزر جموعه على الهزيمة التي لاقوها على أيدي المسلمين ، جمع أصحابه على مقربة من آذربيجان ووقع الصدام بينهم وبين "الحرشي" ، فانتصر المسلمون وتبعوا الخزر إلى نهر الرس ، ثم عادوا إلى "باجروان" ، لكن ابن ملك الخزر لم يقنع بالهزيمة ، فجمع جيوشه ثانية ، وسار في اتجاه "الحرشي" ، والتقى الطرفان على نهر "البيلقان" ، وانتصر المسلمون وغرق الكثير

والكثير في هذا النهر من الخزر ، وجمع "الحرشي" ، الغنائم وعاد إلى باجروان ، وعندئذ أعلم الحرشي هشام بن عبد الملك بذلك فكتب إليه يشكره ، ويأمره بالسير إليه ، وفي الوقت نفسه عين أخاه "مسلمة بن عبد الملك" على أرمينية وآذربيجان ، فوصل إليها عام ١١٣هـ/ ٧٣١م ووزع جيوشه ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون عديدة ، ودان له من وراء جبال بلنجر ، وقتل ابن خاقان ، بعد ذلك اتجه إلى باب الأبواب.(٢٣٨)

مروان بن محمد وقبول ملك الخزر الإسلام :

في عام ١٢٤هـ/٧٤٢م استعمل "هشام بن عبد الملك" ابن عمه مروان بن محمد على أرمينية والجزيرة وأذربيجان خلفاً لمسلمة بن عبد الملك. فنزل "كسال" ، وبنى مدينتها وهي من "برذعة" ، ثم دخل أرض الخزر مما يلي باب اللان ، وكان معه "أسيد بن زافر السلمي" يرافقه ملوك الجبال من ناحية الباب والأبواب ، فأغار مروان على صقالبة كانوا هناك فسبى منهم حوالي عشرين ألف بيت ، وأسكنهم "خاخيط" فقتلوا أميرهم وهربوا فلحقهم مروان وقتلهم ، ولما بلغ عظيم الخزر ذلك جنحوا للمهادنة ، فأرسل إليه مروان للإسلام ، وأظهر ذلك موادعاً مروان على أن يقره في مملكته. وسار مروان يرافقه جمع من الخزر حيث أنزلهم ما بين السمور والشابران في سهل أرض اللكز ، ولم يكتف مروان بذلك بل ذهب إلى أرض السرير ، وأوقع بأهلها الهزيمة ، ودان له ملك السرير وأطاعه ، فصالحه على ألف رأس خمسمائة غلام وخمسمائة جارية سود الشعور والحواجب في كل سنة ، وعلى مائة ألف مدى نصب في إهراء الباب ، وصالح أهل "تومان" على مائة رأس خمسين جارية ،

وخمسين غلاماً سبيين سود الشعور والحواجب ، ودخل "مروان" أرض زريكران ، وأرض حمزين ، وسدان، وطبر سرانشاه ، ثم نزل قلعة اللكز وصالح أهلها وولى عليها "خشرما السلمي" وسار "مروان" إلى قلعة "شروان" فأذعن له صاحبها بالطاعة ، وطلب منه "مروان" أن يكون في مقدمته إذا حارب الخزر ، وعلى الساقة إذا رجعوا ، وعلى "فيلانشاه" أن يغزو معهم فقط ، وعلى "طبر سرانشاه" أن يكون في الساقة إذا بدأوا وفي المقدمة إذا رجعوا ، وسار "مروان" إلى "الدودنية" فأوقع بأهلها ، ثم ذهب إلى "أردبيل" ومنها إلى "شروان" ، ثم ورثان ، وأخيراً البيلقان ، ومنها ترك أرمينية مولياً وجهه إسحاق بن مسلم ، وذلك بالطبع بعد مقتل الوليد بن يزيد لأنه تولى أمر الدولة الأموية إذ حكم عام ١٢٧هـ/٧٤٤م - ١٣٢هـ/٧٤٩م.(٢٣٩)

لعب "مروان بن محمد" دوراً كبيراً في العلاقات الخزرية في العصر الأموي كنظيريه "الجراح بن عبد الله" و"عبد الملك" وغيرهما ، إذ افتتحوا العديد من البلدان ، وكان في تلك المنطقة المهمة والحساسة بين الشرق وملك الخزر إلى قبول الإسلام ولو بشكل ظاهري.

ثالثاً : العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر العباسي

حكم العباسيون الدولة الإسلامية أكثر من خمسة قرون (١٣٢ـ٦٥٦هـ/٧٥٠ـ١٢٥٨م) ، كانت لهم فيها علاقات متباينة مع الخزر ، وسوف نتوقف في هذه العلاقات عند عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م عام انهيار دولة يهود الخزر على أيدي الروس.

ولقد استهل "أبو جعفر المنصور" هذه العلاقات بولايته على الجزيرة وأرمينية في خلافة أخيه "أبي العباس عبد الله" (١٣٢ـ٣٦ هـ/٧٥٠ـ٧٥٣م) ، وعندما أصبح أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ هـ/٧٥٣ـ٧٤٤م) خليفة للمسلمين ولى (يزيد بن أسيد أرمينية. "فافتتح باب اللان ، ورتب فيه رابطة من أها ودوخ الصنارية حتى أدوا الخراج فكتب إليه المنصـ بمصاهرة ملك الخزر ففعل ، وولدت له ابنته منه ابـ في نفاسها ، وبعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان وه ووكل به وبنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى ومدينة وأنزلهما أهل فلسطين".(٢٤٠)

وهكذا بدأ العباسيون علاقاتهم بيهود الخ الاجتماعي ، حيث تزوج "يزيد بن أسيد السلمي" بأ جعفر المنصور" بابنة ملك "الخزر" ، وربما كان في تلك المنطقة الحيوية ، كما جاء توطين الخ أرجيل الكبرى والصغرى تأكيداً للعلاقات في الجانب ا

ونالت أرمينية بحكم موقعها بالنسـ كسابقيهم الأمويين ، والراشدين قالوا : "الشماخية التي فـ

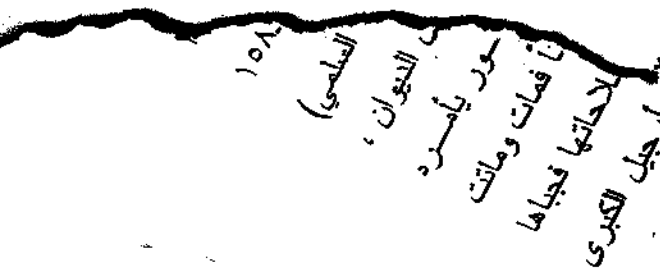

ثالثاً : العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر العباسي

حكم العباسيون الدولة الإسلامية أكثر من خمسة قرون (١٣٢ـ٦٥٦هـ/٧٥٠ـ١٢٥٨م) ، كانت لهم فيها علاقات متباينة مع الخزر ، وسوف نتوقف في هذه العلاقات عند عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م عام انهيار دولة يهود الخزر على أيدي الروس.

ولقد استهل "أبو جعفر المنصور" هذه العلاقات بولايته على الجزيرة وأرمينية في خلافة أخيه "أبي العباس عبد الله" (١٣٢ـ١٣٦ هـ/٧٥٠ـ٧٥٣م) ، وعندما أصبح أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ١٥٨ هـ/٧٥٣ـ٧٧٤م) خليفة للمسلمين ولى (يزيد بن أسيد السلمي) أرمينية. "فافتتح باب اللان ، ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ، ودوخ الصنارية حتى أدوا الخراج فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل ، وولدت له ابنته منه ابناً فمات ومانت في نفاسها ، وبعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان وملاحاتها فجباها ووكل به وبنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين".(٢٤٠)

وهكذا بدأ العباسيون علاقاتهم بيهود الخزر في الجانب الاجتماعي ، حيث تزوج "يزيد بن أسيد السلمي" بأمر من الخليفة "أبي جعفر المنصور" بابنة ملك "الخزر" ، وربما كان ذلك لهدوء الموقف في تلك المنطقة الحيوية ، كما جاء توطين الفلسطينيين في كل من أرجيل الكبرى والصغرى تأكيداً للعلاقات في الجانب الاجتماعي.

ونالت أرمينية بحكم موقعها بالنسبة للخزر عناية العباسيين كسابقيهم الأمويين ، والراشدين ، فيذكر "البلاذري" أن أهل برذعة قالوا : "الشماخية التي في عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن ضجاع

وخمسين غلاماً سبيين سود الشعور والحواجب ، ودخل "مروان" أرض زريكران ، وأرض حمزين ، وسدان، وطبر سرانشاه ، ثم نزل قلعة اللكز وصالح أهلها وولى عليها "خشرما السلمي" وسار "مروان" إلى قلعة "تمروان" فأذعن له صاحبها بالطاعة ، وطلب منه "مروان" أن يكون في مقدمته إذا حارب الخزر ، وعلى الساقة إذا رجعوا ، وعلى "قيلانشاه" أن يغزو معهم فقط ، وعلى "طبر سرانشاه" أن يكون في الساقة إذا بدأوا وفي المقدمة إذا رجعوا ، وسار "مروان" إلى "الدودنية" فأوقع بأهلها ، ثم ذهب إلى "أردبيل" ومنها إلى "باجروان" ، ثم ورثان ، وأخيراً البيلقان ، ومنها ترك أرمينية مولياً عليها إسحاق بن مسلم ، وذلك بالطبع بعد مقتل الوليد بن يزيد لأنه كان مع يلي أمر الدولة الأموية إذ حكم عام ١٢٧هـ/٧٤٤م وحتى ١٣٢هـ/٧٤٩م.(٢٣٩)

وهكذا لعب "مروان بن محمد" دوراً كبيراً في العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي كنظيريه "الجراح بن عبد الله" ، و"مسلمة بن عبد الملك" وغيرهما ، إذ افتتحوا العديد من البلدان ، ومكنوا للمسلمين في تلك المنطقة المهمة والحساسة بين الشرق والغرب ، مما دفع ملك الخزر إلى قبول الإسلام ولو بشكل ظاهري.

فكـان ملـك شـروان في ولاية سعيد بن سالم الباهلي ". ولما انتقض أهل أرمينـية بقـيادة "موشـائيل" ولعلـه ميخائـيل ، علـى "الحسن بن قحطبة الطائـي" بعـث إلـيه "أبـو جعفـر المنصـور" مـدداً بقـيادة "عامر بن إسـماعيل" ، فاشـتبك الحسـن مـع موشـائيل فـي قـتال عنـيف راح "موشـائيل" ضـحيته وتفـرق جمعـه واستقامت الأمور للحسن. وقد نسب إلـيه نهـر الحسـن بالبـيلقان ، والباغ الذي يعرف بباغ الحسن ببرزعة ، والضـياع المعـروفة بالحسـنية. وإن دل هـذا على شيء فإنما يدل على علـو كعـب العباسـيين فـي أرمينـية لأهمية موقعها بالنسبة للخزر فهو مدخل المسلمين إليها.

ويعـدد الـبلاذري ولاة أرمينـية بعـد الحسـن بـن قحطـبة فـيذكر : عـثمان بـن عمـارة بن حزيم ، ثم روح بن حاتم المهلبي ، ثم خـزيمة بـن خـازم ، ثم يزيد بن مزيد الشيباني ، ثم عبيد الله بن المهدي ، ثـم الفضـل بـن يحيى ، ثم سعيد بن سالم ، ثم محمد بن يزيد بن مزيد ، وكـان خـزيمة أشـدهم ولايـة وهو الذي سن المساحة بدبيل والنشوى ولم يكن قبل ذلك ".[٢٤١]

ويذكـر "ابـن الأثـير" أن الـترك والخـزر أغـاروا علـى باب الأبواب عام ١٤٥هـ/٧٦٢م فقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً.[٢٤٢]

وبالـرغم مـن عـودة النشاط العسكري إلا أن الجانب الاجتماعي فـي العصـر العباسـي كـان له بريقه ففي عام ١٨٢هـ/٧٩٨م في عهد الخلـيفة هـارون الرشـيد (١٧٠ـ١٩٣هـ/٧٨٦ـ٨٠٩م) حدثت مصاهرة بيـن الفضـل بـن يحيى البرمكي والي أرمينية وخاقان الخزر حيث زفت ابـنة ملـك الخـزر إليه لكنها توفيت ببرذعة ، فرجع من كان يرافقها إلى

أبـيها وأخـبروه أنهـا قتلت غيلة عندئذ عاد التوتر بين الطرفين ، فاعتزم ملك الخزر الزحف إلى بلاد الإسلام.(٢٤٣)

غزو الخزر بلاد الإسلام عام ١٨٣هـ/٧٩٩م

فـي هـذا العـام خـرج الخـزر كما يبدو بسبب مقتل ابنة خاقان مـن بـاب الأبـواب ، فـأوقعوا بالمسلمين ، وأهل الذمة ، وسبوا أكثر من مائـة ألـف رأس ، وانـتهكوا أمـراً عظيماً ، فولى الرشيد أرمينية ليزيد بـن مـزيد مضـافاً إلـى آذربيجان ، وأمده بالجند ، وجهه نحوهم ، وقيل إن سـبب خـروج الخـزر أن سـعيد بـن مسلم قتل المنجم السلمي فدخل ابـنه بـلاد الخـزر ، وطلـب نجدتهـم على سعيد ، فوجد بالطبع الخزر فرصـتهم فـي ذلـك فخـرجوا ودخلوا أرمينية من الثلمة ، وانهزم سعيد ، وأقـاموا نحـو سـبعين يومـاً فوجـه الرشيد لهم خزيمة ، ويزيد بن مزيد فأصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدا الثلمة.(٢٤٤)

علاقة ثقافية مع الخزر :

وكمـا أشـرنا إلـى وجـود علاقـات اجتماعـية بين العباسيين ، ويهـود الخـزر ، كانـت لهـم أيضـاً علاقة ثقافية تمثلت في رحلة "سلام الـترجمان" كمـا أشـار إلـى ذلك ابن خرداذبه حين قال على لسان سلام : " أن الواثـق بـالله لمـا رأى فـي منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنين بينـنا وبيـن يـأجوج ومـأجوج قد انفتح فطلب رجلاً يخرجه إلى الموضع فيسـتخبر خـبره فقيـال : أشـناس ما هاهنا أحد يصلح إلا سلام الترجمان وكـان يـتكلم بثلثيـن لسـاناً ، قـال : فدعا بي الواثق ، وقال : أريد أن تخـرج إلـى السـد حـتى تعاينه وتجيئني بخبره وضم إليّ خمسين رجلاً شـباب أقويـاء ووصـلني بخمسـة آلاف دينـار وأعطانـي ديتي عشرة آلاف درهـم ، وأمـر فـأعطى كـل رجل من الخمسين ألف درهم ورزق

سنة ، وأمر أن يهيأ للرجال اللبابيد وتغشى بالأديم واستعمل لهم الكستبانات بالفراء ، والركب الخشب ، وأعطاني مائتي بغل لحمل الزاد والماء".(٢٤٥)

وهكذا صور "سلام الترجمان" مدى حرص وعناية الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ـ٢٣٢هـ/٨٤٢ـ٨٤٧م) بمنطقة يأجوج ومأجوج وهي على مقربة من باب الأبواب ذلك المكان الحساس على بحر قزوين (الخزر) ، وخوفه على المسلمين من اندفاع الخزر وغيرهم من هذه المنطقة ، فضلاً على وعي الخليفة الذي حاول تحقيق الحلم إلى واقع يقوم على التجربة والخبرة العملية الميدانية لا على الظن ، بل وخبرة الخليفة في تزويد البعثة بما تحتاجه من مال وزاد ولباس واق للأفراد تمشياً مع المناخ وتقلباته .

يواصل سلام حديثه قائلاً : " فشخصنا من "سُرَّ من رأى" بكتاب من الواثق بالله إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية وهو بتفليس في إنفاذنا ، وكتب لنا إسحاق إلى صاحب السرير ، وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان ، وكتب لنا ملك اللان إلى فيلان شاه ، وكتب لنا فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء فسرنا من عنده ستة وعشرين يوماً فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلاً نشمه من الرائحة المنكرة فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوماً فسألنا عن حال تلك المدن فخُبرنا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخربوها ، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة منه السد وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ،

مسلمون يقرؤون القرآن لهم كتاتيب ومساجد فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم إنا رسل أمير المؤمنين ، فأقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين فنقول: نعم ، فقالوا : شيخ هو أم شاب؟ فقلنا : شاب ، فعجبوا أيضاً ، فقالوا : أين يكون ؟ فقلنا : بالعراق في مدينة يقال لها "سُرَّ مَنْ رَأى". فقالوا : ما سمعنا بهذا قط ، وبين كل حصن من تلك الحصون إلى الحصن الآخر فرسخ إلى فرسخين أقل أو أكثر".(٢٤٦)

ومن تلك الكلمات يوضح سلاّم طريق الرحلة من "سُرَّ مَنْ رَأى" إلى ملك الخزر بادئاً بالوصول إلى تفليس ، ومنها إلى صاحب السرير ، ثم إلى ملك اللان ، ومنه إلى فيلان شاه ، ومنه إلى طراخان ملك الخزر الذي قدم له المرشدين فساروا معه شهراً حتى وصلوا إلى حصون بها أناس يتكلمون العربية والفارسية .

يواصل سلاّم حديثه فيقول : " ثم صرنا إلى مدينة يقال لها أيكة .... لها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها ، وفيها مزارع وأرجاء .... وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام. وبينها وبين السد حصون وقرى حتى تصير إلى السد .... وهو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج ومأجوج فيه وهم صنفان ذكروا أن يأجوج أطول من مأجوج ويكون طول أحدهم ما بين ذراع إلى ذراع ونصف وأقل أو أكثر، ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن والسد الذي بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع وهو الطريق الذي يخرجون منه فيتفرقون في الأرض نحو أساسه ثلاثين ذراعاً إلى أسفل وبناه بالحديد والنحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ثم رفع عضدتين مما يلي الجبل من جنبتي الفج عرض كل عضادة خمس وعشرين ذراعاً في سمك خمسين ذراعاً الظاهر من تحتها عشر أذرع خارج الباب ، وكله بناء بلبن من حديد

مغيب في نحاس تكون اللبنة ذراعاً ونصف في ذراع ونصف في سمك أربع أصابع ، ودروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب على العضادتين .... وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد في النحاس إلى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر يكون البناء فوق الدروند نحواً من ستين ذراعاً ، وفوق ذلك شرف حديد في طرف كل شرفة قدنتان تنثني كل واحدة منها على الأخرى ، طول كل شرفة خمس أذرع في عرض أربع أذرع وعليه سبع وثلاثون شرفة ، وإذا باب حديد مصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمس وسبعين ذراعاً في تخن خمس أذرع وقائمتاهما في دوارة على قدر الدروند لا يدخل من الباب ولا من الجبل ريح ..... وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع في غلظ باع في الاستدارة ، والقفل لا يحتضنه رجلان وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرون ذراعاً وفوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل ، وقفيزاه كل واحد منهما ذراعان ، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنتا عشرة دندانكة كل دندانكة في صفة دستج الهواوين واستدارة المفتاح أربعة أشبار معلق في سلسلة ملحومة بالباب طولها ثماني أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعتبة الباب عرضها عشر أذرع في بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين .... ومع الباب حصنان ..... على باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عزبة وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من القدور الحديد ، والمغارف الحديد على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون ، وهناك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ ، ورئيس تلك الحصون يركب في كل يوم

اثنين وخمسين وهم يتوارثون ذلك الباب كما يتوارث الخلفاء الخلافة ، يجيء راكباً ومعه ثلاثة رجال على عنق كل رجل مرزبة ومع الباب درجة فيصعد على أعلى الدرجة فيضرب القفل ضربة في أول النهار فيسمع لهم جلبة مثل كور الزنابير ثم يخمدون ، فإذا كان عند الظهر ضربه ضربة أخرى ويصغي بأذنه إلى الباب فتكون جلبتهم في الثانية أشد من الأولة ثم يخمدون ، فإذا كان وقت العصر ضرب ضربة أخرى فيضجون مثل ذلك ثم يقعد إلى مغيب الشمس ثم ينصرف. الغرض في قرع القفل أن يسمع من وراء الباب فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً ..... قال سلام : فقلت لمن كان بالحضرة من أهل الحصون هل عاب من هذا الباب شيء قط ؟ قالوا : ما فيه إلا هذا الشق .... قال : فدونت وأخرجت من خفي سكيناً فحككت موضع الشق ما خرج منه مقدار نصف درهم وأشد في منديل لأريه الواثق بالله ، وعلى فرد مصراع الباب الأيمن في أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول : فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ..... وفي الجبل محفور الموضع الذي صب في الأبواب ، وموضع القدور التي كان يخلط فيها النحاس ، والموضع الذي كان يغلي فيه الرصاص والنحاس ..... ولما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء ناحية خراسان ... ووردنا "سُرَّ مَنْ رَأَى" فدخلت على الواثق فأخبرته بالقصة وأريته الحديد الذي كنت حككته من الباب فحمد الله وأمر بصدقة يتصدق بها وأعطى الرجال كل رجل ألف دينار ، وكان وصولنا إلى السد في ستة عشر شهراً ورجعنا في اثني عشر شهراً وأيام ".(٢٤٧)

وهكذا كانت رحلة "سلام الترجمان" ثقافية بكل المقاييس ، إذ وصف الطريق من "سُرَّ مَنْ رَأَى" حتى سد يأجوج ومأجوج ، ثم

وصف "السد" وصفاً علمياً هندسياً من حفر أساسه ، وإقامة دعائمه ، وارتفاع بنائه ، والمواد التي استخدمت في هذا البناء ، وكذلك الآلات المعنية ، ثم باب السد الضخم وقفله العجيب ، ومفتاحه الكبير ، والحصون التي تقوم بحمايته ، وطريقة التواصل بين الحراس ، ويأجوج ومأجوج خلف السد والباب ، حتى العيب البسيط والذي أخذ منه الحديد إلى الواثق بالله دلالة على وصوله للسد ذكره ، حتى عودته إلى "سُرَّ مَنْ رَأى" ولقاء الخليفة. وهي كما قلنا رحلة علمية ثقافية شارك فيها الخزر دلالة على العلاقات الثقافية بين العباسيين والخزر إلى جانب العلاقات الاجتماعية وكذلك السياسية .

وصفوة القول : تعددت وتباينت العلاقات بين الخلافة الإسلامية والخزر فكانت في العصر الراشدي سياسية بحتة ، بينما كانت في العصر الأموي سياسية تخللتها علاقات اجتماعية ، لكنها كانت في العصر العباسي في أغلبها اجتماعية ثقافية .

رابعاً : انهيار دولة الخزر عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م :

بحكم موقع دولة يهود "الخزر" ، كان لها إبان سطوتها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) ، السيادة على الطرق المؤدية إلى "بحر قزوين" عبر دلتا نهر "الفولجا" ، وكذلك الطرق المؤدية إلى البحر الأسود ، لا سيما وأن الخزر كانوا يسيطرون على مدينة "كييف" الروسية .

ومعنى هذا أن الروس إذا رغبوا في نزول البحر سواء قزوين أو الأسود ، كان عليهم أن يدفعوا لليهود الخزر الضرائب المقررة والتي قدرت بـ ١٠% حيث قال ابن حوقل : " ومصب تجارة الروسية على دائم الأوقات إلى خزران ، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم ".[٢٤٨] ورغم وجود بعض التسويات المؤقتة *Modusrirendi* ،

إلا أنها كانت محفوفة بالمخاطر ؛ إذ استغلت الأساطيل الروسية الفرصة وهاجمت "آبسكون" فيما بين عامي ٨٦٤ ، ٨٨٤ م ، لكنها منيت بهزيمة قاسية ، فأعاد الروس الكرة بعد عام ٣٠٠هـ/٩١٢م.

فيذكر "المسعودي"[٢٤٩] أنه بعد عام ٣٠٠هـ ورد نحو خمسمائة مركب، على متن كل منها مائة شخص ، وقد راسلوا ملك الخزر في رغبتهم اجتياز بلاده ، وانحدارهم عبر نهره إلى بحر الخزر مقابل نصف ما يغنمون ، فوافقهم على طلبهم ، وجاءت السفن الروسية وانتشرت في البحر ، لكنها قامت بالإغارة على آبسكون ، وآذربيجان ، وطبرستان ، وجرجان ، وباكو ، وغير ذلك ، واستباحوا النساء والأطفال ، ثم قدموا هداياهم لملك الخزر حسب الاتفاق.

وعلى صعيد آخر لم يعجب هذا العمل جماعة "اللارسية"* ، فطلبوا من الملك التصدّي للروس ، وتركهم لهم ، فوافق الملك على طلبهم لعلاقته الودية مع الخلافة الإسلامية ، إلا أنه أعلم الروس بذلك لمكاسبه الشخصية.

المهم أن المسلمين اشتبكوا مع الروس في معركة حامية وانتصروا عليهم. وعندئذ قرر ملك الخزر عدم السماح للروس ثانية بدخول بلاده ، واجتياز أراضيه إلى البحر ، فحرم بهذا العمل الروس من ثروات متعددة، فقرروا مهاجمة بلاد الخزر في عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م حيث قام الأرشيدوق *Svjatoslaw* أمير كييف بالهجوم على بلاد الخزر ، واستولى على مدينتهم "بيلا فيزا *Biela viezha* " القلعة البيضاء ، وهو الاسم السلافي لمدينة "سار كل" مقر القلعة على نهر الدون.(٢٥٠)

وبذلك بدأ انهيار دولة يهود الخزر إيذاناً بسقوطها ، وأصبحت حوالي عام ١٠٩٥م تابعة للروس على رودية شخماتوف *Ashakhmatow* كاتب أقدم الحوليات الروسية. وإذا كان "ابن حوقل"(٢٥١) قد اعتبر الانهيار بدأ عام ٣٥٨هـ ، فربما كان هذا التاريخ هو وقت وصول الخبر إليه ، فالثابت كما ذكرنا وطبقاً لما جاء عند ابن الأثير وغيره أن عام ٣٥٤هـ هو بداية الانهيار على أيدي الروس ثم أعقبه السقوط النهائي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تقريباً على أيدي المغول .

نتائج الدراسة :

وقد تمخض عن هذه الدراسة عدد من النتائج نذكر منها ما يلي :

(١) كشفت الدراسة عن مدى البعد السياسي في اعتناق الخزر لليهودية بعيداً عن عباءة الدين.

(٢) أوضحت الدراسة أصل الخزر وهم أتراك ينتمون إلى "يافث" ، وليس "لسام" ابني نوح عليه السلام لدحض فكرة السامية.

(٣) الوقوف على حقيقة العلاقة بين اليهود وفلسطين ، منذ أول أنبياء اليهود وإلى عصر يهود الخزر (الإشكيناز) حيث أوضحت الدراسة أن فلسطين أرض غربة بالنسبة لهم وليست أرض ميعاد بنص التوراة.

(٤) الكشف عن حقيقة شائعة نقاء الجنس اليهودي من خلال تتبع الدراسة الأنثروبولوجية سواء في الصفات الجسدية ، أو فصائل الدم ، وقد أثبتت الدراسة أنه لا نقاء ليهود اليوم ، ولا ليهود الأمس بنص التوراة نفسها.

(٥) أوضحت الدراسة عن تأثر يهود الخزر في رسومهم بالأقوام الوثنية الأخرى.

(٦) أوضحت الدراسة وجود علاقات اجتماعية كالزواج والمصاهرة بين المسلمين ويهود الخزر ، كما أوضحت علاقات ثقافية تمثلت في بعثة سلام الترجمان.

حـــواشي البحـــث

(١) حواشي المحور الأول.

(٢) حواشي المحور الثاني.

(٣) حواشي المحور الثالث.

١. حواشي المحور الأول :

(١) بحر قزوين (بحر الخزر) : هو بحر طبرستان ، وجرجان ، وآبسكون ، كلها واحد وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره ، ويسمى أيضاً الخراساني ، والجيلي ، وربما سماه بعضهم (الدُوارة الخراسانية) ، وقيل : اسمه بالفارسية (زراه اكنوده) ، ويسمى أيضاً (أكنودة دَرْيَاو) ، وسماه أرسطاطاليس (أرقانيا) ، وربما سماه بعضهم (الخوارزمي) ، وليس به لأن بحيرة خوارزم غير هذا. راجع ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة (بحر الخزر) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م ، ج١ ، ص ٣٤٢.

ويذكر و. بارتولد *W.Barthold* في دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بحر الخزر ، أنه سمي بالفارسية درياي خزران ، وسمي قديماً عند الروس *Khwalisms Kojemore* ، ويكتب كذلك *Khwalisskoje more* أو *Khwalinskoje more* وهذا مطابق لاسم بلاد خوارزم ، وإن كان العرب والفرس يسمون بحر خوارزم (بحر آرال). وسمي بحر قزوين في المؤلفات الإسلامية بأسماء مختلفة تبعاً للأقاليم التي تقع على شواطئه ، فسمي بحر جرجان ، وهو مرادف للاسم القديم (البحر الهيرقاني) [*Mer Hyr Canienne*] ، وبحر آبسكون نسبة للثغر الواقع عند مصب نهر كركان، وبحر طبرستان، أو مازندران ، وبحر الديلم ، وبحر جيلان ، ومنذ العهد المغولي سمي بحر شيروان أو باكو.

(٢) آرثر كيستلر *Arthur Koestler* : القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م ، ص ٢١.

وآرثر كيستلر *Arthur Koestler* صاحب كتاب " القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم *The Thirteenth Tribe* " أديب موسوعي الثقافة ، وهو يهودي من أب مجري وأم نمساوية ، ولد في بودابست عام ١٩٠٥م

، وعـاش فـي النمسـا ، ثـم قام بالتنقل والترحال بين عدد من البلدان ، فـزار : فلسـطين ، وبرليـن ، والاتحـاد السـوفيتي "سـابقاً" ، وآسـيا الوسـطى ، وإسـبانيا ، وأوكرانـيا. وقد ألّف كتابه الشهير "القبيلة الثالثة عشـرة ويهـود اليوم" قـدم فـيه دراسـة وافـية عن الخزر: عقيدة ، وعـادات ، وتقالـيد ، وعلاقـات. هـذا وتوفـي "كوسـتلر" بلندن في ٣ مارس عام ١٩٨٣م.

(٣) جمـال حمـدان "دكـتور" : شخصـية مصر (دراسة في عبقرية المكان) ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٣.

(٤) خملـيج : وردت عـند يـاقوت باسـم (خمليخ) ، وقال عنها : إنها مدينة ببلاد الخزر ، قال "البحتري" يمدح إسحاق بن كنداجيق:

لـم تكـن الخـزرات إلف ذوابة

يحتل في الخزر الذوائب والذرى

شرف تزيد في العراق إلى الذي

عـهدوه في خملـيج أو ببلنجرى

راجع ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مادة خمليخ ، ج٢، ص٣٨٩.

(٥) بلـنجر : بفتحتيـن وسـكون الـنون ، وجيم مفتوحة وراء ، مدينة ببلاد الخـزر خلـف بـاب الأبـواب ، قالوا افتتحها (عبد الرحمن بن ربيعة). راجـع يـاقوت الحمـوي : المصـدر السـابق ، ج١ ، مـادة بلـنجر ، ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠.

(٦) البيضـاء : مدينـة بـبلاد الخزر خلف باب الأبواب قال "البحتري" يمدح ابن كنداجيق الخزري :

إن يـوم إسحاق بن كنداجيق في

أرض فكل الصيد في جوف الفرا

قـد ألـبس الـتاج المعاور لبسه

في الحالـتين ممـلكاً ومؤمّـرا

شرف تزيد بالعراق إلى الذي

عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا

راجع ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٢٩ ــ ٥٣٠ ، مادة البيضاء .

(٧) ابن خرداذبة : ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ، المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص ١٢٥.

(٨) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٢٢.

(٩) أرّان : بالفتح وتشديد الراء ، وألف ونون ، اسم أعجمي لولاية واسعة ، وبلاد كثيرة ، منها جنزة ، وهي التي تسميها العامة كنجة ، ومنها برذعة ، وشمكور ، وبيلقان ، وبين آذربيجان وأرّان نهر يقال له "الرس" كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو أرّان ، وما كان من جهة المشرق فهو من آذربيجان ، ويقع إقليم الرّان بين نهري "الرس" و"الكر". ويستخرج من الثاني السمك المعروف "بالسرماهي" و"شورماهي" بالفارسية معناها السمك المملح.

راجع ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج١ ، مادة أرّان، ص ١٣٦، وكي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢١١.

(١٠) جرزان : بالضم ثم السكون وزاي وألف ونون ، اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس. ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، مادة جرزان ، ص ١٢٥.

(١١) سيسجان : بكسر أوله وفتحه ، هي في الإقليم الخامس ، بلدة بعد أران افتتحها حبيب بن مسلمة وسماها شزاة أرمينية الأولى.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مادة سيسجان ، ج٣ ، ص ٢٩٧

(١٢) إتل أو آيدل (الفولجا) : نهر عظيم يشبه دجلة ، وهو ببلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلغار ، وقيل إتل قصبة بلاد الخزر ، والنهر مسمى بها ، وينبع هذا النهر من أقصى الجنوب فيمر على البلغار ، والروس ، والخزر ، ويصب في بحيرة جرجان ، وفيه يسافر التجار إلى ويسو ، ويجلبون الوبر الكثير كالسنقذ والسمور والسنجاب ، وقيل إن مخرجه من أرض خرخيز فيما بين الكيماكية والغزية ، وهو الحد بينهما ، ثم يذهب مغرباً إلى البلغار ، ثم يعود إلى برطاس ، وبلاد الخزر ، حتى يصب في البحر الخزري ، وقيل إنه يتشعب من نهر إتل نيف وسبعون نهراً ، ويبقى عمود النهر يجري إلى الخزر حتى يقع في البحر. راجع ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، مكتبة الثقافة العالمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ ، وابن حوقل : ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ ، وياقوت الحموي : المصدر السابق، مادة إتل ، ج١ ، ص ٨٧ ــ ٨٨ .

(١٣) ابن رستة : (أبو علي أحمد بن عمر بن رستة ت ٣١٠هـ) ، الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، هولندا ، ١٩٨١م ، ص ١٣٩.

(١٤) تفليس : قال ياقوت الحموي في معجمه تفليس : بفتح أوله وكسره ، بلدة بأرمينية الأولى ، وبعض يقول بأران ، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب ، وهي مدينة قديمة أزلية. مادة تفليس ، ج٢ ،
ص ٣٥ ، وقال أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ) في "تقويم البلدان" أن تفليس قصبة كرجستان. دار

صـــادر ، بـــيروت ، بـــدون تـــاريخ ، طبع نقلاً عن طبعة باريس ، دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م ، ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣ .

وذكـــر [مينورســـكي *V. Minorsky*] فـــي دائـــرة المعـــارف الإسلامية مـــادة تفلـــيس : إنهـــا قصـــبة بـــلاد الكرج وخاصة الجزء الشرقي منها المعـــروف باســـم خرتلـــيا. وتعـــرف هـــذه المدينـــة في لغة الكرج باسم تفلـــيس *Tphlisi* أو *Thabilisi* ، والشـــائع أن هـــذا الاسم مشتق من كلمة تفيلـــي *Tphili* ومعـــناها حـــار. وفـــي ذلك إشارة إلى منابع تفليس الحارة ، كمـــا تعـــرف فـــي اللغـــة الأرمينـــية باســـم تفخيس *Tphkhis* (تفليس *Tphlis*) ، وفي العربية باسم تفليس.

(١٥) الكـــرج : يدّعـــي الكـــرج أنهـــم أحفاد (قارتلوس) ، وأن اسمهم الأصلي (قـــارتول) نســـبة إلـــى (قـــارتلوس) رأس الأمة الكرجية التي كان مقرها مفـــرق نهـــري "كُـــر" و"آراغـــوي" من ٢١٠٠ سنة قبل الميلاد. ويقولون أنهـــم كـــانوا معروفيـــن عـــند العبرانييـــن باسم "مَشَخْ" أو "مَسَخي" ، كما أنهـــم يدّعـــون أن "قـــارتلوس" هـــذا مـــن أولاد "يافـــث" ، وأن عاصمة ملكهم الأولى تسمى "مكسخت" نسبة إلى "ابن قارتلوس".

وللكـــتاب الـــروس عـــدة آراء فـــي أصـــل واشـــتقاق كلمة "كُرج" ، وقد كـــناهم الســـريان بكلمـــة "غاريـــز" ، وكورجستان معناها بالفارسية "بلاد القـــوة والقـــدرة " ، كمـــا يذكر أن "كورجستان" سميت بذلك نسبة للقديس جورجي ، وكانت بلاد الكرج تعرف باسم "سابير" ثم "أيبيريا".

راجـــع (مـــه ت جوناتوقـــة يوســـف عـــزت باشـــا) ، تـــاريخ القوقاز ، تعريـــب: خوســـتوقة عـــبد الحمـــيد غالب بك ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٢٨ ــ ٣٠ .

(١٦) جـــبال القوقـــاز (قفقاســـيا) : تمـــتد هـــذه السلســـلة بين البحرين الأسود والخـــزر وطولهـــا ١٢٠٠ كيلومـــتر ، وتـــرتفع فـــي بعـــض قممها من ٣٠٠٠ إلـــى ٥٠٠٠ مـــتر ، وأعلـــي جـــبالها جبل (البُرز) إذ يبلغ ارتفاعه ٥٦٣٠ مـــتر ، وأهـــم جـــبالها (قـــوش تـــان تـــاو) و(شخارا) اللذين يبلغ ارتفـــاع كـــل مـــنهما ٥٢٠٠ مـــتر تقريـــباً ، كذلك جبل قاربك المشهور

ارتفاعه ٥٠٤٤ متر ، والجليد لا ينقطع عن قمم تلك الشاهقات ، وفيها "ثلاجات" مشهورة منها ثلاجة (ماروخ) التي يبلغ طولها ٢ كيلومتر وعرضها كيلومتر ، وسلسلة جبال بَافْسَنْ ، وقد عبّد الروس الطريق الوحيد المسمى (دريال) المعروف قديماً بباب اللان.

راجع (مه ت جوناتوقة يوسف عزت باشا) ، المرجع السابق ، ص ١١ ــ ١٢.

(١٧) ابن رستة : المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(١٨) سارعشن : أوردها "الكرديزي" سارغش ، ويذكر مينارسكي أن الجزء الأول من هذه الكلمة وهو سريع تركي الأصل بمعنى أصفر ، وسارغشن هذه يجب أن تكون مدينة سقسين.

الكرديزي ت ٤٤٢ ــ ٤٤٣هـ (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمد بن محمود الكرديزي) ، "زين الأخبار" ، ترجمه عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م ، هامش إ ، ص ٤٦٤.

(١٩) هب نلغ أو حبنلغ : أوردها الكرديزي خلغ بضم الخاء واللام ، وذكر الأستاذ حبيبي نقلاً عن مينارسكي أنها بمعنى راض ومسرور. هامش ٢ ، المصدر السابق ، ص ٤٦٤.

(٢٠) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٦٣.

(٢١) الكرديزي : المصدر نفسه ، ص ٤٦٤.

(٢٢) ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص ١٧٢.

(٢٣) كراتشكوفسكي : اغناطيوس يوليانوفتس كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(٢٤) الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ) ، مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٢٧م ، ص ٢٢٠.

(٢٥) بك : بك لفظ تركي بمعنى الكبير ، وأصله مقصور من بيوك أي كبير.

دكتور حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ١٩٧٨م ، ص ٢٢٥.

(٢٦) ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٣٣٠.

(٢٧) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م ،ج١ ص ١٧٠.

(٢٨) باب الأبواب : يقال له الباب وهي على بحر طبرستان (الخزر) أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلين ، وهي محكمة البناء ، موثقة الأساس بناها أنوشروان الفارسي. كانت تحرسها أمم عديدة مثل : (طبرسران ، وفيلان ، واللكز ، والليران ، وشروان) وغيرهم ، وقد مد من سورها قطعة في البحر شبه أنف طولان ليمنع من تقارب السفن من السور ولها أهمية كبرى في تاريخ الفرس وعلاقتهم بالخزر ، وكذلك علاقة الخزر بالمسلمين ، وتسمى "دربند" . راجع : ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (باب الأبواب) ، ج١ ، ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤.

(٢٩) سمندر : بفتح أوله وثانيه ثم نون ساكنة ، ودال مفتوحة ، وآخره راء ، مدينة خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر بناها أنوشروان بن قباذ.

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٨٦ مادة (سمندر).

(٣٠) المقدسي : تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ت ٣٨٨ـ/٩٩٨م : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٣٥٥.

(٣١) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧.

(٣٢) آبسكون : بفتح أوله وثانيه وسكون السين المهملة ، وكاف وواو ونون ، مدينة على ساحل بحر طبرستان ، بينها وبين جرجان أربعة وعشرون فرسخاً ، وهي فرضة للسفن والمراكب.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧٣ ، مادة آبسكون.

(٣٣) دهستان : بكسر أوله وثانيه بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان .... ، ودهستان ناحية بجرجان ، وناحية بباذغيس من أعمال هراة ، منها محمد بن أحمد بن أبي الحجاج الداهستاني الهروي.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٩٢ ، مادة (دهستان).

(٣٤) برطاس : بالضم اسم لأمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم تنسب إليها الفراء البرطاسية ، وهم قوم مفترشون على وادي "إتل" ، وبرطاس اسم للناحية والمدينة ، وهم مسلمون ولهم مسجد جامع ، ولأهل برطاس لسان مفرد ليس بتركي ، ولا خزري ، ولا بلغاري. قال الإصطخري : وأخبرني من كان يخطب بها أن مقدار الناس من المدينتين نحو عشرة آلاف رجل لهم أبنية خشب يأوون إليها في الشتاء ، وأما في الصيف فإنهم يفترشون الخركاهات.

قال الخاطب : وإن الليل عندهم لا يتهيأ أن يسار فيه في الصيف أكثر من فرسخ ، ومن إتل مدينة الخزر إلى برطاس مسيرة عشرين يوماً ، ومن أول مملكة برطاس إلى آخرها نحو خمسة عشر يوماً.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ،ص ٣٨٤ ــ ٣٨٥ مادة (برطاس) .

(٣٥) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧.

(٣٦) ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص ٣٣٧.

(٣٧) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٢٢ ، مادة باشغرد.

(٣٨) ابن فضلان : المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣٩) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٧ ، مادة خزر.

(٤٠) *Her man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, art CHAZARS, P. 1*

(٤١) و. بارتولد *W. Barthold* ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص ٧٧ ــ ٧٨.

(٤٢) و. بارتولد *W.Barthold* ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ، مادة "بلغار" ، ص ٨٩ ــ ٩٠.

(٤٣) السير ت. و. آرنولد *Sir, T.W. Arnold* ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحراوي ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ، ص ٢٠٨.

(٤٤) *Abba Eban, My people, The Story of the Jewish weiden field, and Nicolson Ltd, London, 1969, P. 149.*

(٤٥) د. م. دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، الطبعة الثانية ، ص ١١.

(٤٦) محمد عبد الشافي المغربي : مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢ م ، ص ٣٧.

(٤٧) محمود شيت خطاب : قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، حدة الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ٢٧.

(٤٨) كيستلر : المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٤٩) ابن رستة : المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(٥٠) كيستلر : المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٥١) كيستلر : المرجع نفسه ، ص ٢٩.

(٥٢) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٣.

(٥٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

(٥٤) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مادة خزر ، ج٢ ، ص ٣٦٨.

(٥٥) كيستلر : المصدر السابق والصفحة .

(٥٦) د. م. دنلوب : المرجع السابق ، ص ٢٢.

(٥٧) بارتولد : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بلغار .

(٥٨) د. م. دنلوب : المرجع السابق ، ص ٢٢.

(٥٩) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٣٠.

(٦٠) خاقان : هو الرسم العربي للقب السلطان التركي " قاغان " وكان يحمل هذا اللقب حكام الشعوب العريقة في القدم ، التي كانت تسمي نفسها تركاً في القرن السادس الميلادي ، وقد أخذوا هذا اللقب عن أسلافهم الأوار الأصليين أو الزا ون زوان الصينيين ثم فرق بعد ذلك بين " قان" أو "خان" ، وقاغان أو خاقان ، واستعملت "خاقان" بمعنى خان الخانات ..... وكلمة قا آن التي ظهرت في العهد المغولي ثم لم تستعمل بعد ذلك لها نفس المعنى.

راجع: بارتولد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٨ ، مادة خاقان، ود. حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص٢٧١.

(٦١) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ت ٢٨٢هـ ، تاريخ اليعقوبي ، المجلد الأول ، بيروت ، ص ١٥٩.

(٦٢) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ج٢ ، ص ٥٨.

(٦٣) ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ص ٢٦ ــ ٢٧.

(٦٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٦٢.

(٦٥) اليعقوبي : المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣.

(٦٦) اليعقوبي : المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٣.

(٦٧) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٢ ــ ٤٤.

(٦٨) ابن العبري : غريغوريوس الملطي أبو الفرج بن أهرون ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، ص ٥٨.

(٦٩) البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت ٢٧٩هـ ، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ١٩٨.

(٧٠) البيلقان : من مدن أران وهي مدينة خصبة ، وقيل إنها مدينة بدر بنو خزران ، ولعلها بناها بيلقان بن أرميني بن لنطي بن يونان فنسبت إليه ، وبينها وبين ورثان ستة فراسخ.

أبو الفدا ت ٧٣٢هـ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية باريس، ١٨٤٠م، ص٤٠٤ــ٤٠٥.

(٧١) برذعة : قال المقدسي : قصبة كبيرة مربعة في سهلة ، لها حصن وسعة ، أسواقها قد ظلت مجتمعة ، على ظهر السوق مسجد الجامع ، هي بغداد هذا الإقليم ، دورهم بهية من آجر ، وجص ، طيبة حسنة كثيرة الفواكه ، بعض أساطين الجامع بجص وآجر ، وبعضه بخشب ، ولبسا نير يتخلليا ، ونهر "الكر" منها على فرسخين ،

الأنهار مستقارية منها نقية غير أن أطرافها قد خربت ، وقد خفت من أهلها ، وتشعث حصنها.

ويستطرد "المقدسي" في كلامه عن "برذعة" ويصف سوقها المعروف "بالكركي" قائلاً : ويقوم ببرذعة سوق يسمى "الكركي" ، يجتمع إليه أهل الكورة والنواحي في يوم "الأحد" حتى أن أحدهم يقول : يوم السبت ، ويوم "الكركي" ، ويوم الاثنين. يباع فيه الأبرسيم ، والثياب ، ولا نظير لتتككهم ، ومحفورياتهم ، وقرمزهم، وصبغهم، وفاكهة تسمى "الزوقل"، وقسبوية ، وسمك يقال له "الطريخ" ، ولهم تين وشاه بلوط في غاية الجودة.

المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٧٥ ــ ٣٨٠ ، وأبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٠٢ ــ ٤٠٧.

ويضيف كي لسترنج : أن "الكركي" من قرياقوس *Kariakos* اليوناني وتعني "يوم الرب" ، ويسمون يوم الأحد هناك يوم الكركي.

كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلي العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص ٢١٢.

(٧٢) الطبري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٠.

(٧٣) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٥٨.

(٧٤) كريستنسن (آرثر) : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، مراجعة د. عبد الوهاب عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص ٤٣١.

(٧٥) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

(٧٦) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٣١.

(٧٧) اليعقوبي : المصدر السابق والجزء ، ص ١٧٨.

(٧٨) الطبري : المصدر السابق والجزء ، ص ١٠٢.

(٧٩) كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٤٣١.

(٨٠) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٣٢.

(٨١) اليعقوبي : المصدر السابق والجزء ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦.

(٨٢) البلخي : أبو زيد أحمد بن سهل، ت ٣٢٢هـ ، وضع حواشي الكتاب خليل عمران المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج١ ، ص ٢٩٤.

(٨٣) د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ١١.

(٨٤) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٣١.

(٨٥) ابن رستة : المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(٨٦) ابن رستة : المصدر نفسه والصفحة .

(٨٧) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(٨٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٠.

(٨٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٠.

(٩٠) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٦٣.

(٩١) اليعقوبي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٨.

(٩٢) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٠ ــ ١٧١.

(٩٣) د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٩٤) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٦ ــ ٦٧.

(٩٥) ياقوت : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٨ ، مادة خزر.

(٩٦) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٠ ، كيستلر : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

http: www.arabmbcil.de/History3.2002.html,P. 1

(٩٧) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٢٣.

(٩٨) الشامانية : *Shamanism* . تظهر العقائد الشامانية في مراسم الجنائز والدفن عند الترك ، وتروي المصادر الصينية أن الأتراك يقيمون إلى جوار قبور الجند تماثيل لقتلى هؤلاء وقد عززت نقوش

أرخـــون. هـــذه الـــرواية حيـــث ذكرت أن بعض هذه التماثيل كان يسمى بالـــبال *Balbal*. وتذكـــر المصـــادر البيزنطـــية أن الرؤســـاء العسكريين الذين يقعون في أسر الترك كانوا يذبحون عادة إلى جوار قبر الخان.

و. بـــارتولد : تـــاريخ الـــترك فـــي آســـيا الوســـطى ، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص ٢٨ ــ ٢٩.

(٩٩) المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٠.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٣.

(١٠٠) كيستلر : المرجع نفسه ، ص ٦٤.

(١٠١) ابـــن الـــنديم : محمـــد بـــن إســـحاق الـــنديم ، ت ٣٨٥هـــ/٩٩٥م ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٩.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٤.

(١٠٢) الـــبرغز : مدينـــة علـــى ســـاحل بحـــر مـــايطس وهـــو متصـــل بخليج القســـطنطينية ، وتطلـــق علـــى جماعـــة من الترك ، ويقول المسعودي : وملـــك الـــترك فـــي وقتنـــا هـــذا وهـــو ٣٣٢هـ مســـلم أسلم أيام المقتدر العباسي. وقد ذكرها ياقوت برغر.

المسعودي: المصدر السابق ١/١٧٣، ياقوت: المصدر السابق ٢/٣٨٥.

(١٠٣) د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ــ ١٧٧.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٨.

زبـــيدة محمـــد عطـــا (دكـــتورة) : الـــيهود فـــي العـــالم العربي ، عين للدراســـات والـــبحوث الإنســـانية والاجتماعية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٧.

(١٠٤) ابـــن أبـــي أصـــيبعة : موفـــق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بـــن يونـــس المـــعدي الخزرجـــي ، ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، عيون الأنباء فـــي طـــبقات الأطـــباء ، دار الـــثقافة ، بيروت ، لبنان ، ج٣ ، ص ٨٢، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـــ/١٩٨٧م ،.

(١٠٥) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٩.

زبيدة محمد عطا (دكتورة) : المرجع السابق ، ص ٤٧.

محمد عبد الشافي المغربي (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٢٠٠.

(١٠٦) غراء السمك *Isinglass* : نوع من الغراء المستخرج من بعض أصناف السمك ، وتشتهر باستخراجه بقاع في روسيا على نهر الفولجا ، وغيره من أنهارها ، وتتفق بعض هذه البقاع مع المواطن التي كان يسكنها الخزر ، ولهذه المادة قيمة صناعية هامة في تنقية السوائل المختلفة ، كما أنها تدخل في صقل الحرير وغيره.

ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

مهدي علام : هامش (١) ، ص ٣٠٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السادس ، مادة الخزر.

(١٠٧) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٧١ ، زبيدة محمد عطا : المرجع السابق ، ص ٤٧.

(١٠٨) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٧٣.

Her man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, art CHAZARS.

(١٠٩) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٧٣.

(١١٠) د.م. دنلوب : المرجع السابق ، ص ١٧٩.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ٧٤ ــ ٧٥.

Abba Eban, My people, The Story of the Jewish P.145.

(١١١) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٩.

Her man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, art CHAZARS.

Abba Eban, My people, The Story of the Jewish P. 149.

عبد الحميد حمودة : وما شأن الكيان الصهيوني بالسامية ، مقال بمجلة مركز الدراسات الإسلامية ، العدد ١٣٢ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤

(١١٢) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٦٩.

Her man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, art CHAZARS.

(١١٣) كيستلر : المرجع السابق والصفحة .

Abba Eban, My people, The Story of the Jewish, P. 149.

(١١٤) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٧٦.

Her man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, art CHAZARS.

زبيدة محمد عطا (دكتورة) : المرجع السابق ، ص ٤٩.

(١١٥) كيستلر : المرجع السابق والصفحة .

(١١٦) كيستلر : المرجع نفسه ، ص ٧٨ ــ ٧٩.

Abba Eban, My people, The Story of the Jewish, P. 150.

٢. حواشي المحور الثاني :

(١١٧) الأنثروبولوجية *Anthropology* :

ذكرت مارجريت مـيد *M. Mead* (١٩٠١ــ١٩٧٩م) أن الأنثروبولوجية تصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية ، للنوع البشري عبر الزمان وفي سائر الأماكن. كما تحلل الصفات البيولوجية ، والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج مستطورة ، كما تحلل النظم الاجتماعية والتكنولوجية.

حسين فهيم : قصة الأنثروبولوجيا ، الكويت ، ١٩٨٥م ، ص ١٣.

(١١٨) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ، المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ١٣.

(١١٩) اليعقوبي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥ ــ ١٦.

(١٢٠) السامية : حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، لم يكن يعرف

اللغويـات ، والكـتابات الأثـرية ، إذ اعتـبرت اللغـة السامية من أقدم لغـات العـالم ، وقسـمت إلـى مجموعـات ثـلاث (السـامية الشمالية الشـرقية [الأكاديـة] ، والسـامية الشمالية الغربية [الحرية ، والآرامية ، والإبـلاوية] ، والسـامية الوسـطى والجنوبـية [العربـية ، واللغـات الجنوبـية الإثيوبـية]) ، واللغـات السـامية الرئيسـية الشائعة اليوم هي العربية والأمهرية والعبرية والتجرية.

وفـي منتصـف القـرن العشـرين إبان الحرب العالمية الثانية ، تحولت السـامية مـن لغـة وعرقـية إلـى عقـيدة وأيديولوجـية سياسية تبنتها الحـركة الصـهيونية العالمـية بعـد "الهولوكوسـت" (غـرف الغاز أو المحـرقة) التـي تـزعم هذه الحركة الزعيم النازي (أدولف هتلر) ، وذلك لأنهـا لليهود فـي ألمانـيا ، وراح ضـحيتها عدد كبير ، وبعد انتهاء الحـرب العالمـية ، وانتصـار الحلفـاء ، ونتـيجة لـتراكمات تاريخية طويلـة تحولـت السـامية إلـى لا سـامية أي اسـتخدم اليهود مصطلح اللاسـامية باعتـبارها تهمـة تمس كل من يعارض أو يشكك في صحة "المحـرقة" ، وتطـور الأمـر بعـد ذلـك إلى إطلاق اللاسامية على كل مـن لا يوافـق التـيار الصهيوني العالمي. وبالتفكير الإعلامي المستمر والقولـبة الإعلامـية التـي تعـرض لها العقل الغربي ، أضحت السامية تساوي اليهودية.

مقـال بعـنوان: "الصـهيونية العالمـية تصـنع مـن اللغـة أيديولوجياً للابـتزاز"، تحقـيق عـبد الرحمـن المطـيري ، مجلة العالم الإسلامي ، العـدد ١٧٦٩ ، الصـادر فـي ٣ رمضان ١٤٢٣هـ/ ٨/١١/٢٠٠٢م ، ص ٩.

http:www.moslimworldleague.org.paper/1769/articles/page9.htm

(١٢١) اليعقوبي : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٠.

(١٢٢) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٦٣.

(١٢٣) الطبري : المصدر السابق والجزء ، ص ١٩٣.

(١٢٤) الطبري : المصدر نفسه والجزء ، ص ١٩١.

(١٢٥) الكردوزي : المصدر السابق والصفحة.

(١٢٦) الكردوزي : المصدر نفسه والصفحة.

(١٢٧) المسعودي : أخبار الزمان ، دار الأندلس ، بيروت ، ص ٩١ ـ ٩٧.

ب. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ١٣٥/١ ـ ١٣٦.

(١٢٨) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، بيروت ، لبنان ، المجلد الأول ، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(١٢٩) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٢.

(١٣٠) عائشة راتب (بكتورة) : مقال بعنوان (الصهيونية) بكتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١٤٢.

(١٣١) كيستار : المرجع السابق ، ص ٢٤.

(١٣٢) كيستار : المرجع نفسه ، ص ٢٩.

(١٣٣) وبنو جومر : اشكناز ، وريفات ، وتوجرمة.
سفر التكوين : إصحاح ١٠ ، آية ٣.

(١٣٤) وبنو جومر : اشكناز ، وريفات ، وتوجرمة.

أخبار الأيام الأول : ١/٦.

عبد الحميد حمودة : رسالة في الكلمات الصهيونية السامية ، مقال بمجلة السنة ، العدد ١٣٢ ، ١٤٢٤/١٢هـ / ٢٠٠٤/٢م ، ص ١.

http: www.alsunna.org

(١٣٦) وليد محمد علي بن جريكة الرفاعي : الخزر ، يهود ، كتاب صهيونية الخزر وصراع الحضارات.

http: www.bahethcenter.org/arabic/der.16-8Sohionyat6.htp1of10

(١٣٧) عبد الحميد حمودة : المقال السابق.

(١٣٨) عبد الحميد حمودة : المقال نفسه.

(١٣٩) مقال (اللاسامية بدعة صهيونية على الغرب أن يتخلص من خرافتها)
http://www.qudsway.to/Links/MujallahislamNum78-11-htpage1of10

(١٤٠) د.م.دنلوب : المرجع السابق ، ص ١٩ ــ ٢١.

(١٤١) د.م.دنلوب : المرجع السابق ، ص ٢٠.

Rosental (II) art Chazar in Jewish Ency. vol. IV, P. 1

(١٤٢)

Art Khazar, in Harms worth Ency. London, 1906, vol. VI, P. 370.

محمد عبد الشافي المغربي (دكتور) : المرجع السابق ،ص ٩ ــ ١٠.

(١٤٣) ابن منظور : ت ٧١١هـ/١٣٠٣م ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ج٤ ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٦.

(١٤٤) ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ج٢ ، ط١ ، ص ١٨٠.

(١٤٥) ابن سيدة : المخصص،بيروت،دار الكتب العلمية،ج١،ط١ ، ص ١٠١.

(١٤٦) الزمخشري : ت ٥٣٨هـ جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ، مادة خزر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ١٦٠.

(١٤٧) ياقوت : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٧ ، مادة خزر.

(١٤٨) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ــ ١٨١.

(١٤٩) *Morphology* (مورفولوجيا) : هي علم التشكل أو نظرية الأشكال ، ويبحث في صور الأشياء أو أشكالها ، وهو علم الحياة يدرس الصور المميزة ، والمورفولوجيا الاجتماعية هي دراسة أشكال المجتمعات ، والمورفولوجيا الاجتماعية هي دراسة العلاقة بين البنى المورفولوجية في الأفراد وأحوالهم النفسية .

عبد المنعم الحفني (دكتور): المعجم الفلسفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٣٤٢ ، مادة مورفولوجيا.

(١٥٠) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨١.

جمال حمدان (دكتور) : اليهود أنثروبولوجياً ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص ١٢٨.

(١٥١) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

(١٥٢) جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٢٨.

عبد الوهاب المسيري (دكتور) : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ٥٧.

(١٥٣) جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣١.

(١٥٤) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٤١.

http://kabreet.Egypt.com/issue12/article3.asp.P.1of10

(١٥٥) سفر التكوين : إصحاح ١٠/١ــ٤.

(١٥٦) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

(١٥٧) د.م.دنلوب : المرجع السابق ، ص ٣٠.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ٢٧.

(١٥٨) جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦.

عبد الوهاب المسيري (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٧.

(١٥٩) جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(١٦٠) كيستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٤٧.

(١٦١) سفر التكوين : الإصحاح ٢٠/١ــ١٠.

(١٦٢) سفر التكوين : الإصحاح ٢٦/١ــ٤.

(١٦٣) سفر التكوين : الإصحاح ٣٧/١.

(١٦٤) سفر التكوين : الإصحاح ٤٦/١ــ٧.

(١٦٥) سفر التكوين : الإصحاح ٤٦/٨ــ٢٧.

(١٦٦) سفر التكوين : الإصحاح ٤٨/٢١ــ٢٢.

(١٦٧) علي رؤوف سيد مرسي (دكتور) : بنو إسرائيل والعبرية الحديثة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٨٧.

(١٦٨) سورة البقرة : آية ١٣٣.

(١٦٩) سورة البقرة : آية ١٦٩.

(١٧٠) ول ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ج٢ ، ص ٣٢٨.

(١٧١) بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة عجاج نويهض ، البروتوكول الحادي عشر ، ص ٢١.

(١٧٢) حسن ظاظا (دكتور) : مقال بكتاب "الصهيونية العالمية وإسرائيل" ، ص ٥.

جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٦٩.

(١٧٣) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٤٣.

(١٧٤) سفر الملوك الثاني : إصحاح ٢٥/١ــ٧.

(١٧٥) سفر الملوك الثاني : إصحاح ٢٥/٨ــ١٢.

(١٧٦) المزامير : مزمور ١٣٧/١ــ٩.

(١٧٧) سفر حزقيال : الإصحاح ٣٧/١ــ١٤.

(١٧٨) جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٦٩ــ٨٨.

(١٧٩) العبرانيون :

اختلف العلماء والباحثون حول أصل مصطلح "عبري" فرأي يربط بينه وبين أحد الأجداد القدامى للساميين وهو عابر بن شالح ، وثان : يرى أنها مشتقة من الفعل الثلاثي العبري "عبر" بمعنى النهر إشارة إلى عبور سيدنا إبراهيم نهر الفرات ، وثالث : يرى اشتقاق الكلمة من الفعل الثلاثي عبر كدليل على قطع مرحلة من الطريق ، ورابع : يرى أصل الكلمة هو "خابيرو" *Habiri* وهي قبائل ظهرت في فترة معاصرة لظهور العبريين ، وكانت تغزو فلسطين ، وورد ذكرهم في رسائل أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر. وخامس : يرى أن المصطلح ذو مغزى طبقي اجتماعي استناداً إلى ما جاء في سفر الخروج ٢/٢١ بشأن المصطلح الاجتماعي "عبد عبري" وسفر التكوين "أبرام العبري" ١٣/٢٤. وأخيراً : رأي يرى أن كلمة عبر وعرب هما أصل كلمة واحدة تعرضت للإبدال والتغيير. ومعنى هذا أن التسمية "عبري" إنما وظفت للدلالة على أهل البادية الرحل ، أي وصف لحالة اجتماعية معينة ، وليس كاسم جنس.

د. رشاد عبد الله الشامي : إشكالية اليهودية في إسرائيل ، عالم المعرفة،العدد ٢٤ ،الكويت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ٥٩ ــ ٦٠.

(١٨٠) سفر الملوك الأول : ١/١١ــ٢.

ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٤ــ١٦.

جمال حمدان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٥٣.

زبيدة محمد عطا (دكتورة) : المرجع السابق ، ص ٢٤ــ٢٦.

محمد أحمد خضر: شعب الله المختار،القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ٢٠٨.

(١٨١) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٦٩.

المسعودي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٢.

(١٨٢) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٦٣.

(١٨٣) المسعودي : المصدر السابق ، ١/١٧٢.

(١٨٤) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٤.

(١٨٥) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ــ٣٣١.

(١٨٦) كيستلر : المرجع السابق ، ص ٥٨.

(١٨٧) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٦٩ــ١٧٠.

(١٨٨) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٨ــ٣٦٩.

(١٨٩) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(١٩٠) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٥.

(١٩١) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٧١.

(١٩٢) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٤.

ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٥.

(١٩٣) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢١.

ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣١.

(١٩٤) المسعودي : المصدر السابق ، ١/١٧١ــ١٧٢.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٢/٣٦٨.

(١٩٥) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٧١.

(١٩٦) ابن رستة : المصدر السابق ، ص ١٤٠.

(١٩٧) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(١٩٨) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٧٢.

(١٩٩) المسعودي : المصدر السابق ، ١/١٧١.

(٢٠٠) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٠.

(٢٠١) الكرديزي : المصدر السابق ، ص ٤٦٤ــ٤٦٥.

(٢٠٢) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٧٠.

(٢٠٣) المسعودي : المصدر السابق ، ١/١٧١.

٣. حواشي المحور الثالث :

(٢٠٤) الطبري : المصدر السابق ،ج ٤ص١٥٥.

(٢٠٥) شهر براز : أورده (ابن الأثير) شهريار. ومعناه (أكبر ملوك العصر) أو كبير المدينة.

ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٢ص٤٣١ ، حوادث عام ٢٢هـ ، محمد موسى هنداوي (المعجم في اللغة الفارسية) ، ص ٢٨٩.

(٢٠٦) القبج : قال المسعودي "جبل عظيم ، وصقعة صقيع جليل ، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم ، وفي هذا الجبل اثنان وسبعون أمة ، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها. وقال ياقوت : "كلمة أعجمية وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان ، وهو آخر حدود أرمينية ، وجبل القبق فيه اثنان وسبعون لساناً لا يعرف كل إنسان لغة صاحبه إلا بترجمان.

المسعودي : المصدر السابق ، ١٦٨/١ ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣٠٦/٤.

(٢٠٧) الطبري : المصدر السابق ، ١٥٦/٤.

د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ٨٠.

(٢٠٨) الطبري : المصدر السابق ، ١٥٦/٤.

د٠م٠دنلوب : المرجع السابق والصفحة.

(٢٠٩) الطبري : المصدر السابق ، ١٥٦/٤ـ١٥٧.

(٢١٠) موقان : مدينة بدربند قريبة من ساحل بحر طبرستان (الخزر) ، وأراضيها واسعة كثيرة المياه والمراعي.

أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٠١.

(٢١١) جبال اللان : يقال لملكها (كركنداج) ، ويقال لدار الملك (معص) وتفسيره الديانة. وللملك قصور ومنتزهات ينتقل إليها ، وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة. وهي على مقربة من جبال القبج يفصل بينهما قنطرة ، وتقع بينهما قلعة يقال لها قلعة باب اللان.

راجع المسعودي : المصدر السابق ، ١٨٢/١.

(٢١٢) الطبري : المصدر السابق ، ١٥٧/٤.

(٢١٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣٠٥/١ ، مادة باب الأبواب.

(٢١٤) ابن الأثير: المصدر السابق ،ج ٢ص٤٣٠ـ٤٣١ ، حوادث ٢٢هـ.

(٢١٥) الطبري : المصدر السابق ، ج ٤ص١٥٧.

(٢١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٢ص٤٣١.

(٢١٧) الطبري : المصدر السابق ، ج ٤ص١٥٨.

ابن الأثير : المصدر السابق ، ٤٣١/٢.

د٠م٠دنلوب : المرجع السابق ، ص ٨٢.

(٢١٨) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٤٣٢.

(٢١٩) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

(٢٢٠) قاليقلا : بلد بأرمينية من نواحي خلاط ، ويذكر في تفسير الكلمة : أن أمور الروم كانت تستتب في بعض الأزمنة ، وصاروا كملوك الطوائف ، فملك أرمنياقس ثم توفي فملكتها بعده امرأته ، وكانت تسمى "قالي" فبنت المدينة وسمتها قاليقالة بمعنى إحسان "قالي" ، قيل : وصورت على باب من أبوابها فقالت العرب قاليقلا بدلاً من قاليقالة.

راجع البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج ٤ص٢٩٩ ، مادة قاليقلا .

(٢٢١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠١.

الطبري : المصدر السابق ، ج ٤ص٢٤٨ ، حوادث ٢٤هـ.

(٢٢٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ـ٢٠٤.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٤٧٩.

(٢٢٣) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٢ص٤٧٩ ، حوادث ٢٥هـ.

(٢٢٤) ابن الأثير : المصدر نفسه والجزء ، ص ٤٨٠.

البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٦.

(٢٢٥) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٦.

(٢٢٦) البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٢٠٧.

ابـــن الفقـــيه : (ت بيـــن ٣٠٠ ــ ٣٢٠هـ) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إســـحاق الهمزانـــي ، كـــتاب الـــبلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م ، ص ٥٨٩.

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص١٢٩.

(٢٢٨) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ص ٤٤١ ، ٤٥٤.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٢٥٢.

(٢٢٩) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

(٢٣٠) الطبري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٤ ، حوادث ١٠٤هـــ.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٣٦٠.

(٢٣١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ص١٤ــ١٥.

(٢٣٢) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٣٦١.

(٢٣٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ص٢١.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٣٦١ــ٣٦٢.

(٢٣٤) الطبري : المصدر السابق ،ج ٧ص٢١.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٣٧١.

(٢٣٥) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٣٨٩.

(٢٣٦) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

ابن الأثير: المصدر السابق ،ج ٤ص٣٩١ ،٣٩٣،حوادث١١٢هـــ .

(٢٣٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ،ج ٤ص٣٩٣.

(٢٣٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ،ج ٤ص٣٩٤ ــ ٣٩٥ ، ٤٠٣ .

(٢٣٩) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٤ص٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٥.

(٢٤٠) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢١١ ــ ٢١٢.

(٢٤١) البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٢١٢.

(٢٤٢) ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٥ص١٧٥ .

(٢٤٣) الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ص٢٩٩.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٥ص٢١٥.

(٢٤٤) الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ص٢٧٠.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٥ص٣١٩.

(٢٤٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣.

ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٥٩٦.

المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٦٢.

(٢٤٦) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ــ ١٦٤.

ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ ــ ٥٩٧.

(٢٤٧) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ــ ١٧٠.

ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٥٩٧.

المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٢.

(٢٤٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٢.

(٢٤٩) المسعودي : المصدر السابق ،ج ١ص١٧٤ــ١٧٥.

كيستلر : المرجع السابق ، ص ١١٣ــ١١٦.

(٢٥٠) المسعودي : المصدر السابق ،ج ١ص١٧٥ــ١٧٦.

ابن الأثير : المصدر السابق ،ج ٧ص٢٩٠ ، حوادث ٣٥٤هـ .

بارتولد : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (بلغار) ، المجلد الرابع ، ص ٩٧.

(٢٥١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٣٢.

الملاحق :

١ــ خريطة بحر الخزر نقلاً عن ابن حوقل توضح بلاد المتماسة معه ، ونهر اتل ، ومدينة خزران ، وباب الأبواب ، ونهري الرس والكر .

٢ــ خريطة توضح هجرات الشعوب المتصلة بالخزر وطرق تجارتها .

٣ــ خريطة توضح امبراطورية الخزر في القرن السابع وحتى الحادى عشر الميلادى

٤ــ لوحة توضح ممر دربال الشهير .